سيرة

المسيح الموعود عليه السلام

بقلم:

حضرة مولانا عبد الكريم السيالكوتي رضي الله عنه

ترجمة: محمد أحمد نعيم

ISLAM INTERNATIONAL PUBLICATIONS LTD

اسم الكتاب: سيرة المسيح الموعود عليه السلام

الطبعة الأولى: ١٤٤٢هـ الموافق لـ ٢٠٢١م

The Character of The Promised Messiah, on whom be peace

An Arabic rendering of

Seerat Masih –e– Mauood

Written by:
Hazrat Maulana Abdul Kareem Sialkoti may Allah be pleased with him

Translated from Urdu by: Muhammad Ahmad Naeem

Present Arabic translation published in the UK: 2021

© Islam International Publications Limited

Published by:

Islam International Publications Ltd.
Unit 3, Bourne Mill Business Park,
Guildford Road, Farnham, Surrey, GU9 9PS
United Kingdom

Printed in the UK at:
Raqeem Press, Farnham

For further information please contact:
Phone: +44 1252 891330
www.islamahmadiyya.net

Cover designed by: Mirza Nadeem Ahmad

ISBN: 978-1-84880-800-3

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس المحتويات

مقدمة الناشر	أ
المقدمة	١
مفاسد العصر التي تقتضي بطبعها بعثة مصلح	٥
المفاسد الداخلية	٥
العدو الخارجي	٩
العدو الخارجي الثاني هم الآريون	١١
سيرة سيدنا المسيح الموعود عليه السلام	١٣
التكملة	٦٣
الملحق	٦٥

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمده ونصلي على رسوله الكريم وعلى عبده المسيح الموعود

مقدمة الناشر

يسعدنا أن نقدم لقراء العربية ترجمة كتاب رائع عن سيرة سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام وهو أول كتاب ألف حول هذا الموضوع وفي حياة حضرته عليه السلام وبقلم أحد صحابته الأجلة والأحبة إليه عليه السلام حضرة المولوي عبد الكريم السيالكوتي رضي الله عنه. فهو كتاب صغير حجما وكبير فائدة وتأثيرا إذ كتبه بأسلوب شيق وفي ما لاحظه بأم عينه لا نقلا عن الآخرين.

لقد تناول حضرة المؤلف في هذا الكتاب شتى جوانب سيرة حضرته العطرة، وهي تشكل دروسا رائعة لكل أحمدي.

لقد حظي بتعريب هذا الكتاب الداعية الإسلامي الأحمدي محمد أحمد نعيم وصدر بإشراف المكتب العربي المركزي بتعاون عدد من الإخوة العرب الذين أسهموا في أعمال المراجعة والتدقيق، ونخص بالذكر السيد خالد عزام، والدكتور علي خالد البراقي، والدكتور وسام البراقي المحترمين.

نتقدم بخالص الشكر لكل من ساهم في نشر هذا الكتاب داعين أن يجزيهم الله أحسن الجزاء ويجعله في ميزان حسناتهم، كما نسأل الله تعالى

أن يوفق القراء الكرام للاستفادة من هذا الكنـــز ويجعله سببا لهداية الباحثين عن صراط الله المستقيم، آمين.

الناشر

نحمده ونصلي على رسوله الكريم

سيرة المسيح الموعود عليه السلام

المقدمة

إن تأليف سيرة المسيح الموعود اكتفاءً بكتابة عدد من الصفحات يبعث على الاستغراب حتما، فعند سماع هذا العنوان سيخطرنَّ ببال كل واحد طبعا أنه كتاب ضخم وكبير، لكن الحقيقة أن كل ما كتبتُه ليس أكثر من تمهيد الطريق لأشخاص موهوبين ومتقنين لهذا العمل. فمن الممكن أن يقدر محبٌّ أكبر وأكثر اطلاعًا مني على أمور أفضل وأصفى حول هذا الموضوع الطاهر والمهم. أو من المحتمل أن يوفقني الله سبحانه وتعالى أنا أيضا أن أكمل هذا الموضوع في المستقبل. إن ما كتبته في هذا الكتيب هو عصارة معرفتي وإيماني وتجاربي الشخصية الحقيقية. إنني على يقين كامل أني لم أنخدع شخصيا ولم أرِد أن أخدع الآخرين. فلقد دفعني البحث الطويل وتأييد الحق ونصحي للإخوان إلى أن أقدّم لخدمة القوم بعض الأمور بهذا

الأسلوب. عسى أن يفوز كل رشيد بمعرفة هذا النور والحق الذي قد اختار الله سبحانه وتعالى من أجله جماعتَنا بفضله المحض.

إن هدفي الحقيقي من تأليف هذا الكتيب الذي أُشرِب به قلبي والذي لنشره قد نُفِخ في كل ذرة من كياني حماس كبير هو أن أكشف كيف ينبغي أن يكون الإنسان الذي نسلِّم له أمانةً عظيمة القيمة كالإيمان. في الوقت الراهن يوجد في البنجاب والهند كثير من أصحاب الزوايا والمدّعين بأنهم يقدرون على إراءة الله عيانا. صحيح أنهم حائزون على عدد لا بأس به من الأتباع أيضًا؛ ففي قرية "دهونكل" المتصلة بأيمن آباد يجتمع عدد كبير من الناس؛ فيمكن أن يلتبس الحق على غير الباحثين، أو تُثبِّط همَمَهم الصعوباتُ والتعقيدات ووعورة طريق الحق فيقنطوا. لقد كتبتُ سيرة المسيح الموعود عليه السلام واضعًا في الحسبان الأسوة الحسنة للنبي ﷺ، وبناءً عليها قد أثبتُّ بفضل الله بنجاح أن الإمام الحق والهادي والمهدي في هذا العصر هو سيدنا وحبيبنا حضرة ميرزا غلام أحمد القادياني عليه السلام. لم أتكلّف حين قرنتُ سيرته عليه السلام بسيرة النبي ﷺ، بل الحقيقة أن فطرة حبيبنا الإمام المهدي عليه السلام قد خُلِقتْ بيد الله بحيث تصدر منه بطبعه الأفعالُ والأقوال التي صدرت من متبوعه ومقتداه النبي الكريم ﷺ. ومن فضل الله العظيم علينا نحن المسلمين أن مدلول آية ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ (الممتحنة: ٧)، قد خلَّصَنا من جميع التعقيدات والتصرفات الذميمة التي يواجهها أهل الباطل.

فأسوة يسوع المسيح الناقصة جدًّا في الأخلاق والأعمال والمعاشرة والسياسة وفي كل مجالات الحياة، دفعَتِ القساوسة إلى أن يجلسوا على سُدة النبوة والرسالة مضطرين غصبًا لكي يتداركوا نقائص يسوع المسيح. بينما تُهيئ حياة نبينا الكريم ﷺ المطهَّرة أسوةً في كل شُعبة من حياة إنسان ناضج ومتحضر وكامل. فكان ﷺ مصلحا، ومؤسس أمة، وقائد جيش وعارفا بآداب التعامل مع أفراد الشعوب الأخرى، وزوجا ووالدا وصديقا عظيما ومِعطاء وكريما وجوادًا وقادرا على الانتقام، ومع ذلك كان عفُوًّا وسلطانا جليل القدر وناسكا متبتلا إلى الله. باختصار؛ كل صاحب خُلق يجد أسوة كاملة في شخص فخر بني آدم المقدس ﷺ. وأي أسوة في حياة يسوع المسيح الضعيف عديم الحيلة، الذي لم يتسنَّ له إظهار أي خُلق إنساني؟[1]. باختصار؛ إن أسوة النبي ﷺ قد انتشلتْنا من مهاوي أنواع الظلمات إلى قمة النور. فما أسهله من أمر علينا أن نقيس كل مدَّع على المعيار الكامل عند النقد. إن أكبر أمر في حياة النبي ﷺ، الذي كان غايتَه المتوخاة وكان روحَه وغذاءه، إنما هو بذْل كل أوقاته في تبليغ كلمة الله ومواجهة أعداء الله. فاقرأوا القرآن الكريم لتعرفوا بأي شدة واجه الباطل. كان النبي ﷺ يُبرز ذلك كله في عمله. فكل إنسان يمكنه أن يدرك من قراءة القرآن الكريم كم كانت المهمة التي عُهدت إلى حضرته ﷺ عظيمةً، حتى لو لم يكن مطلعًا على سوانحه ﷺ. ويمكن أن يقدِّر من ذلك مدى ما كان يعيشه ﷺ من

[1] أي بحسب ما كتبه المسيحيون. (المترجم)

راحة بال وسهولة ونعومة. لاحِظوا الآن -لله سبحانه وتعالى- مَن الذي يقتفي أثر النبي ﷺ، ومَن الذي أقام اليوم حجة الإسلام على النصارى والآريين والسيخ وأتباع المذهب الجيني واليهود والبرهمو والملحدين. ومَن الذي أحيا بأسوته الإسلام والقرآن الكريم والرسول والمعجزات والخوارق من جديدٍ؟ وفي شخص أي إنسان نجد نماذج أخلاق النبي ﷺ وأفعاله؟

باختصار؛ لقد بيَّنت في هذه الصفحات القليلة بفضل الله مَن الذي يستحق الجلوس اليوم على كرسي الخلافة الإلهية، أسأل الله سبحانه وتعالى أن يتقبل سعيي البسيط هذا، آمين.

عبد الكريم

قاديان ١٩٠٠/٦/٢٦

مفاسد العصر التي تقتضي بطبعها بعثة مصلح

المفاسد الداخلية

١- لم يبق في الأمة ذلك الاعتقاد بالله الذي من شأنه أن يولِّد التقوى وخشية الله ﷻ؛ إذ لم يبق الإيمان بالقدير المقتدر والمنتقم والعليم بذات الصدور، وإلا لما كان التجاسر والتجرؤ لهذه الدرجة على ارتكاب الذنوب.

فكلما حصلت السيطرة القوية للذنب والشيطان على الدنيا، وسوّد الفسقُ والفجور القلوبَ والصدور ودمَّرها، فإنما كان سببه الحقيقي تلاشي الإيمان بالله إيمانًا حقيقيا بانشراح الصدور. فكما أن القرن الذي اقتضى بعثةَ النبي ﷺ واستدعاه كان يصرخ داعيًا المصلح لإصلاح مفاسده؛ فإن هذا العصر أيضًا كان يصرخ داعيًا -بسبب الفساد المستشري والفواحش البيِّنة والتجاسر على ارتكاب السيئات والمعاصي- مجددا ومصلحا. فكما كان النبي ﷺ في زمنه قد قطع شأفة الفساد بإراءة الله ﷻ، فإن أكبر حاجة اليوم أن تُهيَّأ الأسباب والوسائل وتُتخَذ التدابير التي من شأنها أن تري الله ﷻ ماثلا أمام أعين الناس، وتولد الإيمان بذلك الحي القدير.

فالحاجةُ إلى مصلحٍ ماسةٌ بقدر ما يجب أن يكون ذلك المصلح حائزا على قدرة عظيمة على رؤية الله وإراءته ﷻ للآخرين. وهذه القدرة يجب أن تكون على نوعين، أولهما أن تطمئن القلوب وتُقنعها بأدلة قوية وبراهين ساطعة ومعارف يقينية حتى تنطق القلوب تلقائيا -بالاستماع إلى كلامه المليء بروح القدس- أن الله موجود، وتنفخ في القلوب روح الصدق وتُحدث فيها فجأةً تغيرًا طاهرًا. وثانيا أن تجعله قادرا على إصدار نبوءات عن أمور الغيب. وبذلك يكون في الحقيقة جديرا بخلافة الذات الخفية المقتدرة. عندئذ سيكون في الحقيقة مظهرا تامًّا للنبي ﷺ. وأمثال هؤلاء في الحقيقة يقدرون على إصلاح الزمن بأسوتهم الكاملة. ذلك لأن النبي ﷺ هو الآخر كان متميزا بسبب هاتين القدرتين؛ حيث سخَّر القلوب واستأصل الباطل معنويا بكتاب عقلاني وعلمي وزاخر بالبراهين، ألا وهو القرآن الكريم، وإلى جانب ذلك جلب للمعارضين الذلة الظاهرية والفعلية نتيجة تحقق النبوءات الاقتدارية التي قدمها، فصدق من قال بحق هذا الكتاب:

"لم يبلغ أحدٌ مبلغ علمه أو قدرته، وقد كسر كِبر كل متكبِّر.

فمن ناحيةٍ قد ألقى سلاطين زمنه في الحيرة، ومن ناحية أخرى دهش كل عاقل وحكيم. "[1]

باختصار؛ قد عاد الزمان مرة أخرى ليَظهر فيه المجدد والمصلح بهذه الصفات.

---

[1] ترجمة بيتين بالفارسية، وهما من نظم سيدنا المسيح الموعود عليه السلام. (المترجم)

٢- إن الفُرقة والتشتت الشديد يسود الأمة، فليس في العصر الحاضر ٧٢ فرقة فقط، بل كل إنسان بحدِّ ذاته فرقةٌ مستقلة، وقد وصل الاجتهاد وتفضيل الرأي الشخصي لدرجة أنّ كل شيخ يرى شيخًا آخر بعيدا عن الصدق وقريبا إلى الخطأ. فالشيخان في مدينة واحدة يتصرفان كأنهما يتبعان دينين مختلفين ويدافعان عنهما. فالناس يُعرِضون عن كتاب الله والسنة، ويُقبلون تمامًا على اتباع الأهواء والتقاليد والعادات. فهم مشغولون ليلَ نهار في تكفير وتفسيق بعضهم مثلما تتشاجر الكلاب، فقد جعلوا الدنيا وعزَّتها قِبلة لهم، ويتلاعبون بكلام الله وسنة خير الأنام كما يلعب الأولاد بالألعاب.

وبالإضافة إلى ذلك كادت الاختلافات الكبيرة بين الفِرق مثل الوهابيين والمقلدين والشيعة والسنة تجعل الأمة تزهق، وكأن عمود الدعامة قد انزاح ويكاد يسقط السقف الثقيل على السكان ويرحِّلهم إلى دار البوار.

الوقت يصرخ داعيًا أنه يجب أن يَبرز إلى الميدان بطلٌ يقضي على هذه الفُرقة كلها والافتراق. فالمقلدون يقولون إنه سيظهر منهم، والوهابيون يقولون إنه سيظهر منهم، والبعض الذين أرادوا جمع هذه الأضداد ينطبق عليهم مضمون المثل الفارسي: صحيح أنك خلصتني من الذئب، لكنني حين أمعنت النظر وجدتك ذئبا.

فهؤلاء قد شتتوا المسلمين أكثر بدلا من لـــمِّ شملهم وجمعهم، وجعلوا منهم غارقين في الإلحاد بدلا من مؤمنين. إن الفساد الأكبر الذي يعرقل

الوحدة -ومعلوم أن الفلاح والإصلاح دون الاتحاد مستحيل- هو هذا الافتراق والتشتت واختلافُ المذاهب والمشارب. فالحاجة قويةٌ إلى ظهور مصلحٍ ليقضي بقوته القدسية على هذا التشتت والافتراق كله.

٣- إن الزعماء الذين كان يمكن أن يقودوا الأمة وكان ينبغي أن يمسكوا بمجداف سفينة الأمة، مشغولون في اللهو واللعب ومنهمكون في اتِّباع الأهواء وبذل المساعي لنجاحاتهم المادية. كبار الزعماء والولاة والحكام قد لقوا حتفهم في الشباب بارتكابهم المناهي والفسق والفجور، وغالبية البقية ينتظرون المصير نفسه، ولا يُهم أحدًا رفعُ شأن دين الله.

باختصار؛ هذا هو حال الزهّاد والزعماء ومَن بينهما، وإذا لم يكن هذا الزمن بحاجة إلى مصلح زكي النفس فأي زمن سيحتاجه؟

٤- إن أكبر فساد وأخطره هو من الصوفية وأصحاب الزوايا، فأفراد الأمة يدفعون لهم مئات الألوف من الروبيات، لكن غالبيتهم هم أيضا منغمسون في الفسق والفجور ورغد العيش والأكل والشرب على شاكلة الزعماء. فلا علم لهم مطلقا بما قال الله ورسولُه، وما هي السنة النبوية وما هي البدعة. فهم مشغوفون بأفكارهم الشخصية والأمور غير المهمة؛ فقد اخترعوا مذاهب خطيرة ويشغفون بها لدرجة حين ينظر إليها الإسلام من بعيد يبكي عليهم ويضحك عليهم في الوقت نفسه. فكأن آلاف المذاهب قد اختُرعت في زي الإسلام. وبذلك تسنح الفرص لأعداء الدين ليعترضوا على الإسلام ويطعنوا فيه، فهم لا يشعرون ما الذي أصاب الإسلام

والمسلمين، وما آل إليه مآلهم، كما يعقد أعداء الإسلام من الخارج العزم على شنّ الهجمات الشرسة ليقضوا عليه نهائيا.

باختصار؛ إن الأمة تواجه الدمار والبوار بسبب الغفلة، وهي بلسان حالها تتمنى من الله أن يُبعث مصلح.

العدو الخارجي

١- إن أكبر فساد وأخطر فتنة هي من النصارى، ولهذه الفتنة مظاهر شتى: (أ) فهي تتجلى في صورة المدارس، بحيث تجعل آلاف الأولاد في المدارس مرتدّين وضعيفي الإيمان. (ب) في صورة المبشرين والوعاظ، فتُفسد المزارعين البسطاء والأميين. (ج) في صورة النساء المبشرات فتُشعل النار في بيوت المسلمين. (د) إن المستشفيات المسيحية تعمل عملا لم ينجزه أحد في العالم بالإكراه والجبر. (هـ) في أيام القحط والمجاعة يُضَلُّ آلاف الفقراء والمفلسين بتوفير الخبز لهم. (و) لقد ارتد الآلاف نتيجة ضغط الحكام الماديين. (ز) آلاف الناس يُدمَّرون عن طريق الجرائد والمجلات الشهرية والكتب.

٢- إن الكليات هي وسيلة مثلى لنشر المادية والإلحاد، فيوميًّا تُجعل في المقرر والمنهاج كتبٌ دراسية قد أُلِّفت عن عمد بنية نشر الإلحاد وشنِّ الهجوم على الإسلام صراحة. ولما كان أعضاء لجان المناهج الدراسية قساوسةً متمكِّنين فهم يضعون في المناهج والمقررات مثل هذه الكتب.

باختصار؛ إن هذه الكليات قَدّمت للعالم نوعًا غريبا من الناس الذين هم كالنَّعام[١]. إذ ليسوا فلاسفة حقيقيين وليسوا جهلة تمامًا. فبعضهم يعترضون على الإسلام علميا وأكثرهم يستخفون به، ولا يجدون أي ضرورة للدين الحق والشريعة كمتحررين أوروبيين، بل معظمهم زنادقة وإباحيون.

فمرة حين مُنع أحد الحائزين على شهادة الماجستير من الفسق وحُثَّ على الزواج، قال على شاكلة سكارى فرنسا: إن عقد القران ارتباط عبثيّ، فالإنسان حرّ يفعل ما يريد، كالكلاب.

زبدة القول إن الكليات قد أفشت في العالم طاعونا خطيرا، فأبناء الكليات يلهثون وراء الدنيا ليل نهار ويعقدون المؤتمرات والجمعيات لكسب الدنيا وأموالها، وينفقون من أجل الدنيا فقط، وعند ذكر الدين يغتاظون ويغضبون. إن فلسفتهم والطبيعة والعلوم البحتة هي أصل كل هذه المفاسد، فالآن ثمة حاجة لمصلح يرسِّخ العلوم الحقة مكان هذه العلوم الباطلة.

٣- إن المحاكم ورفْع القضايا قد قَتلت جميع الأخلاق الفاضلة من الصدق والتقوى والأمانة والأخوة والمواساة. فالذئاب والنمور وبنات آوى والكلاب منتشرة في صورة بني آدم في البيوت وفي الشوارع والأزقة والقرى. فكتّاب الطلبات الرسمية والمحامون والوكلاء يرغِّبون في رفع القضايا عادة. ففي هذه الحالة كيف يمكن أن تكون في القلوب خشية الله؟ في كل بيت تُحاك المكايد المزورة، وتصدر الاقتراحات لرفع القضايا ليل نهار، فقد أُهملَ الدينُ وأعماله.

---

[١] التي ليست طيرًا ولا حيوانًا. (المترجم)

٤- المؤسسات الأخرى وخاصة البرقية والبريد والقطار، ففيها أعمال كثيرة، إذ عُيِّن موظف واحد في مكانٍ يتطلب العمل فيه ثلاثة موظفين؛ فبسبب كثرة المشاغل وتراكم الأعمال قد أهمل وجود الله كليا، فأين وقت الفراغ لإنجاز مهمات الدين وفرائضه والمجاهدات والتوجه إلى الله.

إن مديرية القطار قد أدت إلى غفلة خطيرة. فلا يوجد وقت فراغ في المحطة ليلا ولا نهارا، فالسهر ليلا والعمل نهارا كأنه إعلان الحرب خلاف قانون الله في الطبيعة، فهذا دجل عظيم قد أبطل قوى الإيمان تقريبا.

٥- لما كان الحكام والمسؤولون وأصحاب المناصب مجرد ماديين وكلابَ الدنيا ولا علاقة لهم بالله ولا بالآخرة، فلا بد أن تتأثر بهم الرعايا أيضا كما قيل: "الناس على دين ملوكهم"، فمن المؤكد أن معظم أفراد الرعية قد صاروا كلاب الدنيا تمامًا.

العدو الخارجي الثاني هم الآريون [١]

هذه الأمة أيضا شَنَّت الهجمات على الإسلام كالنصارى وقد نشروا ضد الإسلام كتبا قذرة ونجسة يرتعد لقراءتها قلبُ المسلم الغيور، فقد صار كثير من أبناء المسلمين آريين أو آريِّ المذاق، ومنهم تصدر بانتظام الجرائد والمجلات التي تسيء إلى سيدنا رسول الله ﷺ والقرآن الكريم. وألوف المسلمين ضعيفي الاعتقاد يَهلكون بقراءتها. فلما كان هؤلاء رؤساء

[١] فرقة هندوسية. (المترجم)

المؤسسات الحكومية ومسؤولين كبارا في المكاتب الحكومية، فالمسلمون يؤذَون على أيدي هؤلاء كثيرًا. باختصار؛ هناك طوفان عظيم، وسفينة الإسلام في دوّامة، فكان لا بد أن يُبعث في هذا العصر مصلحٌ.

والسلام

العبد المتواضع

عبد الكريم

١٨ رمضان ١٣١٧

سيرة
سيدنا المسيح الموعود عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

يؤسفني أني سببت لكم معاناة الانتظار الطويل أكثر من اللازم، إذ قصَّرت في قراءة كلمات سيدي وحبيبي الطيبات على مسامعكم، وفي كتابة شيء عن الجماعة الإلهية. كانت سرعة هذه الرسائل تقتضي أن لا يحدث عائق في هذا الطريق، لكن كثيرًا من الأمور الطارئة ظهرت واضطُررت للانقطاع. إلا أنني مسرور بأن رسالتي هذه ستُفرح الأحبة بحيث لن يُبدوا الأسف على ما فات. ومع ذلك أتوقع أنهم سيَدعون بخشوع لأخيهم الذي يترقب العثور على شيء مفرح ليُهديه إلى الإخوة، لكنه يأتي عليه حينٌ من الدهر ابتلاءً بحيث يحدث نفورٌ بين قلمه ويده.

أيها الإخوة، كنت وَعدت في إحدى رسائلي السابقة أن أكتب عن أحداث حياة المسيح الموعود عليه السلام الداخلية، وذلك لأن فضل الله الخاص قد أتاح لي الفرصة منذ عدة سنوات لأكون قريبا من حضرته عليه السلام أكثر من الآخرين. وبالإضافة إلى ذلك قد وهبني الله قلبا حادًّا وجعلني ذواقا وقادرا

على استخراج اللطائف بحيث لا أنظر بعدم الالتفات إلى أي حادث مسموع أو مرئي جزئيا أو كليا. إن قلبي الذكي يتعمق في كل أمر، ويستخرج من أعماقه أمرًا مفيدا، كما من فضل الله الخاص علي أني لا أسعى لأخدع قلبي في ساعات كثرة العمل والوحدة في حياتي، ولا يظهر قلبي أمامي في صورة غير حقيقية.

فقدر ما لاحظت من سيرة المسيح الموعود عليه السلام خلال هذه التجربة الطويلة في الشئون الداخلية والخارجية، أتمنى أن أسجِّله كمادّة يرسم منها كل شخص فطين وسليم الطبع المفتون بسحر هذا الكون تمثالا أو صورةً يتوصل المرء بالتأمل في ملامحها إلى أنه من المستحيل أن تكون هذه الصورة لغير مبعوث من الله.

إن توجيه هذا الخطاب إلى المؤمنين قد يبدو غريبا بنظرة عابرة؛ فما علاقته بهم؟ ذلك لأن إيمانهم يكون مستغنيا عن مثل هذه الجزئيات والتفاصيل، إذ يصرخ عشقهم: وجه الحبيب لا يحتاج إلى أي مزيِّن أو مجمِّل.

لكنني حين أنظر إلى نفسي لأي مدى استفدت من تفاصيل هذا العلم كلها، وكم ساعدتْني هذه المعرفة على قطع أشواط السلوك، فإن روحي تجذبني بقوة بدافع النصح والمواساة إلى أن أُطلع على ذلك هؤلاء الإخوة أيضًا الذين لم تُتِح لهم مشيئةُ الله وإرادته هذه الفرصةَ التي أتاحها لي الله بفضله المحض.

إني أعتقد من صميم الفؤاد أني سأقدم بهذا العمل كثيرًا من الوصفات الناجعة المجربة لكثير من الأمراض الخطيرة الداخلية والخارجية والاجتماعية، التي حولت معظم البيوت المصابة بمرض السل وحُمّى الدِّقِّ كابرًا عن كابر إلى مأتم وحداد بدلا من كونها سعيدة ومريحة.

وبناء على ذلك أودّ أن أكتب أولا عن معاشرة حضرة خليفة الله، لأن الجدارة الكبرى التي تُكسب الإنسان الفخر تتحقق للشخص الذي تكون علاقته بأهل بيته رائعة بحيث يكون بيتُه نموذج الجنة بسبب حسن الإدارة والأخلاق التي أدنى ما يمكن أن توصف به أنها خالية من دوافع ودواعي حدة القلوب والحرقة والحزن والكدورة والغل والحسد. فقد ورد في كتاب الله الحكيم: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾[1]، وعن النموذج العملي لوصية القرآن الكريم في العلاقة بالأهل يقول سيدنا ومولانا المبعوث رحمة للعالمين ﷺ "خيركم خيركم لأهله."

منذ ما يقارب خمسةَ عشرَ عاما، حيث تحمَّل حضرته بأمر من الله المسؤولية الجسيمة والحساسة للمعاشرة، لم تشتعل في البيت نارُ الحرب الداخلية في هذه الفترة قط.

قد يخطر ببال أحد من البشر كيف لم يصدر من جنس البشر الضعيف وقليل العلم أيُّ تصرف معادٍ للطبع في هذه المدة الطويلة، فالتجربة والعرف يشهدان على أنه كثيرا ما يصدر من التصرفات المحزنة من أهل البيت جهلا،

[1] النساء: ٢٠

ومع ذلك فإنه لَجديرٌ بالتدبر ذلك القلب الحليم الفردوسي الذي لم تمسّه نار أي نوع من الحزن ونغص العيش خلال هذه المدة الطويلة.

إن القلب قطعة لحم مرير مستودَع جميع السموم ومصدر كل نوع من الحقد والبغض والعداوة، والتي هي في هذا العالم بمنـــزلة "الجحيم المتأبَّطة"، إذا لم يكن قد سُلب من أحد نهائيا، ولم يكن الله القدوس قد زكّاه وطهَّره بيده ولم يشرح صدره، فيمكن أن يقدَّر كيف يعيش الإنسان في هذه الحياة المريرة المعقدة بهدوء وسكينة ووقار وائتلاف.

هناك عيب وحيد خطير يجب إصلاحه، وهو أصل كل الفتن الداخلية، وهو الاعتراض على كل شيء بعصبية. وهذا العيب يدل على أن صاحبه ضيق القلب ويعيش الجحيم في هذا العالم.

لقد ظللت أراقب حضرته عليه السلام بمنتهى التدبر وإمعان النظر وبنظرة فاحصة جدًّا، وتوصلت بكامل البصيرة إلى أنه ليس في جبلّته المقدسة أيُّ نصيب لمسِّ الشيطان.

أستطيع أن أقول قياسا على نفسي وعلى معظم الناس، إن عادة الاعتراض على كل شيء والنقد والطبع العصبي قد نغَّص حياة الكثيرين وكدَّر صفوهم. وكل من هو على هذا الطبع -وقليلون جدًّا من هم منـــزّهون من هذا العيب- يشعر فورًا بتأثير هذه النار الأكول، ويستطيع أن يشهد على أن هذا الطبع يُعَدُّ أخيرًا أصل جميع الأخلاق الفاسدة. ولا شيء أكثر منه تدميرا لحقوق الله وحقوق خلقه. وغاية القول إن هذا

الطبع المرير قد جعل هذا العالم دارَ الكدورة وبيت المحن. فحين أراد كتاب الله الحكيم من ناحية أن يُثبت أن ذلك العالم الآخر هو دار السلام وبيت السرور، وأراد أن يري أفراحه الجديرة بالغبطة مقابل هذا العالم المادي، لم يكن أفضل من القول: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾[1]. أي في الجنة سوف تُنـــزع من صدور الناس القوةُ التي تتسبب في نشوء كل نوع من العداء والحقد والتشتت. والإنسان الذي لا توجد فيه الآن هذه القوة نستطيع أن نقول في حقه إنه يعيش في الجنة في هذا العالم.

ولما كانت هذه القوة كالنبع، فيمكن أن نقدر منها كم ستكون أخلاقهم الأخرى عالية ونبيلة.

هذا الأمر تدركه جيدًا من العامة الخادمات في البيوت واللاتي لا يملكن سوى الطبع البسيط والخصال الإنسانية، ولا يوجد فيهن أي نوع من التكلف والتصنع ولا الفراسة ولا قوة الاستنباط. فحين يجدن عند سيدنا المسيح الموعود عليه السلام تصرفا معارضًا تماما لما يسود في العصر والمحيطِ والأعراف والسلوك، ينظرن بتعجب ويقلن بمنتهى الاستغراب، ولقد سمعتُهن يقلن مرارا بعجب: "إن المرزا مطواع لزوجته". ولقد قال حضرته عليه السلام نفسه ذات يوم: ينبغي أن تتحملوا من النساء كل نوع من سوء الخُلق والإساءة ما عدا الفحشاء. إننا نرى أنه مما يتنافى مع المروءة كليًّا أن نتشاجر مع النساء

[1] الحجر: ٤٨

ونحن رجال. لقد جعلنا الله تعالى رجالا، الأمرُ الذي هو في الحقيقة من إتمام النعمة علينا، والشكرُ عليها أن نعامل النساء بلطف ونرفق بهن.

ذات يوم ذُكر في مجلس حضرته سوء مزاج أحد وسوء لسانه وقسوة معاملته مع زوجته، فتألم حضرته كثيرا، وقال: "ينبغي ألا يكون أحبتنا على هذه الشاكلة." وفي يوم من أيام المناظرة في أمرتسر مع القسيس عبد الله آتهم، المساعد الإضافي للمفوض في فيروزبور، اجتمع حشدٌ كبير في بيت خانْ محمد شاه، حيث كان الكثيرون من المناطق المجاورة قد حضروا لسماع المناظرة، كان حضرته في مساء ذلك اليوم، الذي أود أن أبين ما حدث فيه، يعاني الصداع كالمعتاد، حيث كان مشتاقو زيارته ينتظرونه أشد انتظار، فشرَّف عليه السلام الحضور بمجيئه، فبدأ المنشي عبد الحق اللاهوري المتقاعد -بدافعٍ من كمال الحب والصداقة- يسأل عن حاله، وقال لحضرته: إن عملك حساس جدًا، وعلى رأسك حِمل ثقيل للواجبات، فعليك أن تهتم بصحة بدنك، وينبغي أن يُعدّ لك يوميا غذاءٌ مقوٍّ حتما، فقال عليه السلام: "صحيح ما تقول وأوافقك على ذلك، وقد طلبتُ ذلك أيضا أحيانًا، لكن النساء يشتغلن في أمورهن بحيث لا يهتممن بسواها". إثر ذلك قال المنشي عبد الحق، وهو من مريدي صديقنا الموحّد القديم الخلوق ولطيف الطبع المولوي عبد الله الغزنوي: "يا سيدي، ألا تقول لهن بلجهة قاسية ولا تزجرهن ولا تفرض عليهن هيبتك؟ أما أنا فأهتم كثيرا بطعامي ويستحيل أن يُهمَل أمري، وأن يحدث القصور في الاهتمام بطعامي، وإلا لتصرفتُ معهن تصرفا آخر".

كنت جالسًا على طرف ففرحت بقول المنشي المحترم وذلك لأن هذا الأمر كان بحق سيدي وحبيبي في ظاهر الأمر، وكنت أنا الآخر أفكر، لشدة حبي له عليه السلام، أنه يجب أن يُعدّ لحضرته طعامٌ أفضل من الطعام العادي، إذ لا يكفي طعامٌ بسيط يُحضر من مطبخ المسيح الموعود عليه السلام، للإنسان الذي يقوم بجهود غير عادية وينجز أعمالا فكرية كثيرة. فوجدتُ المنشي مؤيدًا رأيي وقلت دون تأنٍّ وتدبر تأييدًا للمتصوف المسنّ والمحنّك الخبير والحائز على تربية عبد الله الغزنوي: (وفي تلك الأيام كانت معرفتي في الإلهيات بحاجة إلى مزيد من الدروس)، نعم يا سيدي، صحيح ما يقوله المنشي المحترم، إذ يجب أن تنفِّذ أوامرك بصرامة. فنظر إليَّ حضرته عليه السلام وقال مبتسمًا: "أما أصدقاؤنا فينبغي أن يجتنبوا هذه الأخلاق".

الله أعلم كم خجلتُ في ذلك الاجتماع -أنا الإنسان رهيف الحس الذي كان يعتد بنفسه إلى تلك الأيام حيث كنت أقيس الأمور بمقاييس الشرف والعار بحسب مصطلحات أهل الدنيا- وندمت على تأييدي لأفكار ذلك الصوفي المسنّ المحنك اللطيف فورا.

أيها الإخوة، إنني أقصد مِن ذِكر هذا الذي أثرتُه بحسن النية، أنّ هناك بَونًا شاسعا بيْن الإنسان الذي جاء بفطرته الطاهرة -وهو بطبعه مهتم بأداء الحقوق وهو معلِّم الأخلاق الفاضلة- وبين الآخرين الذين خدعتْهم أنفسهم بأنهم أيضًا قطعوا بعض الأشواط بصحبتهم أحد الصالحين مع أنهم ما زالوا لم ينالوا أي نصيب من الأخلاق الموهوبة.

لقد بقي الحديث الذي كنت أذكره، وهو أن حضرته بعد سماع كلام ذلك الإنسان الفظّ، ظلّ يتكلم طويلا حول معاشرة النساء وقال أخيرا: "أما أنا فذات مرة رفعتُ صوتي على زوجتي وكنتُ أحسّ أن هذا الصوت العالي مشوب بمرارة قلبية، مع أنه لم يكن في كلامي أي كلمة قاسية جارحة. فظللتُ بعد ذلك أستغفر الله لمدة طويلة، وصليت النوافل بغاية الخشوع والخضوع، وأخرجت صدقة؛ إيمانا مني بأن هذه القسوة في الكلام مع الزوجة نتيجة لمعصية خفيّة صدرت مني".

عندما قسْتُ نفسي وعملي ومعرفتي على هذا القول واستعرضت أوضاعي فلا أحد سوى الله يعرف كم ندمتُ وخجلت، فقد رسخ في قلبي كالوتد أن هذه التقوى غير العادية وخشية الله ومراعاة دقائق التقوى ليس من عمل إنسان عادي، وإلا فأنا والمئات الآخرون أمثالي يدَّعون باللسان التمسك بالإسلام واتباع السنة النبوية –ومن المؤكد أننا لا نتجاوز حدود الله متعمدين ومتجاسرين– فما السبب أنّا لم نوهب هذه القوة القدسية ولم نرزق هذا الحس الحادّ، أو رُزقناه لكنه ضعُف بسبب الدوافع الأخرى، إذ نحسب أكبر السعادة والتقوى في اجتناب الذنوب المعروفة والمعاصي المشهورة. أما المعاصي الدقيقة والمشتبهات فلا نعير لاجتنابها أي اهتمام. وإنما يُنال هذا المجهر، الذي أُعطيَه سيدُنا إمام الزمان عليه السلام، بالإيمان الكامل والعرفان الكامل، والتقوى الكاملة فقط. وقلت آنذاك باجتماع اللسان والجنان الصادق وسلّمت بأن تحلّيه بالتقوى غير العادية وخشية الله

وحدها دليل كافٍ على كونه مبعوثا من الله ﷻ حتى لو لم تكن آلاف الحجج النيرة والبراهين أكثر من الشمس سطوعا.

لقد رأينا كبار المتصوفين المستغرقين في المجاهدات الذين يرددون أبيات الزهد في الدنيا وما فيها، وكبار الزهاد وأدعياء اتّباع الإسلام والعلماء التقليديين، أنهم يجلسون أمام أبناء الدنيا كالمسكين. وبعد كل لحظة يرفعون الرأس ويطلقون تأوُّهًا أليما، ولا يحركون لسانهم بالكلام حتى لو كان مناسبًا جدا وفي محله رغم انتظار شديد للمشتاقين إلى سماع كلامهم، وعندما يعودون إلى بيوتهم يمسون غليظي القلوب ويتصرفون على شاكلة الذئاب والنمور.

في الهند هناك صاحب زاوية مشهور، حيث يزيد عدد مريديه على مائة ألف، وهو يدَّعي الفوز بقرب الله ﷻ، ولقد تشرفتْ امرأةٌ سعيدة –من مقربيه– بالعيش داخل بيت سيدنا المسيح الموعود عليه السلام لمدة من الزمن، فكانت تستغرب جدا عندما تلاحظ حضرته يعيش في البيت كالملائكة، دون أن يعترض على أمر ويشتكي من شيء، وهو يستجيب لكل ما يقال له، كما لا ينحرف أي إنسان عن طاعة أي مطاع واجب الطاعة. وقالت بمنتهى العجب مرارا إن سلوك شيخنا حضرة الشاه المحترم على عكس ذلك تمامًا. فحين يعود من الخارج إلى البيت تحدث ضجة القيامة، إذ يعبس في وجه الأولاد ويغضب على الخادمة الفلانية ويضرب الولد الفلاني ويعترض على تصرفات الزوجة ويوبِّخها على زيادة الملح في الطعام أو على وضع

الإناء الفلاني في المكان الفلاني، وعلى عدم وضع الشيء الفلاني في مكان كذا. ويقول للزوجة كم أنتِ عنيدة وناشزة وغير متحضرة! وإذا كان الطعام لا يُعجب مزاجه الرفيع فيضرب الإناء بالجدار ويكسره، وبذلك تحدث ضجة في البيت. فالنساء في البيت يدعون الله متضرعاتٍ مبتهلات أن يطيل حضرة الشاه مكوثه خارج البيت.

إن البيان الشامل لتفاصيل غضّه عليه السلام للبصر وعفوه وإغضائه وتسامحه يتطلب مقالا طويلا. إن النساء البسيطات والبليدات يؤمنّ إيمانهن بأنفسهن بأن حضرته عليه السلام لا يرفع النظر إلى إحداهن، فهو لمدة أسابيع بل أشهرا يتجول في صحن البيت ويمر قريبًا من النسوة كل يوم ولا ينظر إلى إحداهن مطلقا. فهو عليه السلام يملك الهدوء الغريب والتركيز والوقار الخارق للعادة والحلم لدرجة أنه مهما حدث من ضجيج وشغب، يشوِّش الأذهان عادة ويجذب إليه الانتباه، ما كان حضرته يشعر به مطلقا، فلا يضطرب ولا ينـــزعج. فهذه هي الحالة الفريدة التي من أجل الفوز بها يتقلب الذوّاقون راجين إياها، ويبذل أهل السلوك قصارى جهودهم ويطلبونها من الله متضرعين. ولقد سمعت عن مؤلِّفين متمكنين جديرين ولاحظتُهم يفكرون جالسين في الغرفة أو يكتبون شيئا، ودخل عليهم عصفورٌ، فاضطربوا برفرفة أجنحته وفزعوا لدرجة أنْ تلاشت الأفكار والمواضيع من قلوبهم، فتراهم ينقضّون عليه لطرده كما ينقض النمر والأسد على من هاجمه، أو كما يتصدى الإنسان لعدو أثاره. فهناك صالح وصوفي جليل عظيم أو قاض

محترم عندما يمدحه أتباعُه يقولون في بيان أكبر مديح له أنه رهيف الحس وسريع الغضب. وحين يجلس معه أي إنسان يضطرب، وهو نفسُه أيضًا يقول إن جلوس أحد معه يشقّ عليه. فقبل مدة ذهبت لزيارته ولم أكد أجلس عنده عشر دقائق حتى قال لي هل هناك طلب آخر. فمن المؤكد أن الذي يتمتع بطمأنينة القلب والوقار العظيم والحلم فهو بمنـــزلة الإكسير له. وبهذه الصفة يتميز الأولياء وينفردون.

أما حضرته فقد لاحظته يكتب مقالا لطيفًا جدًّا حتى ألَّف الكتب العربية الفصيحة منقطعة النظير وبقربه ضجة وشغب كبير حيث الأولاد، والنساء البسيطات؛ فهن أيضا يتخاصمن ويثرن الشغب ويصرخن، حتى أنّ بعضهن يتشاجرن ويقمن بتصرفات معروفة للنساء، لكن حضرته منهمك في عمله ويستمر في أعمال التأليف وكأنه جالس على انفراد. فقد ألَّف في هذه الأماكن الكتب عديمة المثال باللغة العربية والأردية والفارسية. ولقد سألته عليه السلام مرة: ألا تتشوَّش أفكارك أو ألا تشعر بانزعاج في التفكير بهذا الصراخ والشغب؟ فقال مبتسما إنني لا أسمعه فكيف يشوِّش أفكاري؟

ذات يوم كان حضرته يكتب جالسا في الغرفة كالمعتاد فدخل عليه عزيزي محمود[1] البالغ من العمر أربع سنين آنذاك مع عدد من الأولاد الصغار وفي يده علبة كبريت، فبدأوا أولا يلعبون هناك ويتنازعون كعادة الأولاد، ثم لا نعرف ما الذي خطر بباله، فأشعل النار في المسوَّدات، وبدأ

[1] نجل المسيح الموعود عليه السلام. (المترجم)

الأولاد يتفرجون ويتمتعون ويصفقون. بينما حضرته غارق في التأليف ولا يكاد يرفع رأسه ليعرف ما الذي يجري حوله، وبعد لحظات انطفأت النار وصارت المسودات القيمة رمادًا، وانشغل الأولاد في أعمال أخرى. ثم احتاج حضرته لقراءة أوراق سابقة لربط الموضوع، فسأل هذا فصمت، وآخر أيضًا فذُعر، وأخيرًا تكلم أحد الأولاد وقال: لقد أشعل محمود النار في تلك الأوراق. ففزع جميع الموجودين في البيت من الموقف وخافوا مما سيحدث. وفي الحقيقة كان كل واحد منهم يترقب رؤية مَشاهد سيئة جدًّا، وكانوا يظنون بحقٍّ أنهم سيواجهون موقفا صعبا. لكن حضرته عليه السلام قال مبتسما: حسنا، لعل حكمةً إلهية عظيمة تكمن في ذلك؛ فهو يريد أن يلهمنا موضوعًا أفضل.

ومثل ذلك حدثت مصادفةٌ يوم كان حضرته يؤلف كتابه "التبليغ"، فكتب ذات يوم مقالا عظيما بحجم ورقتين، وكان نفسه يفتخر بفصاحته وبلاغته الموهوبة من الله، وكان يريد أن يرسله إلي للترجمة إلى الفارسية، فنسي ووضعهما في جيبه وخرج للنـــزهة، وكان معه المولوي نور الدين وعدد من الأصحاب. وفي طريق العودة قبل الوصول إلى البيت سلَّم حضرته ذلك المقال للمولوي المحترم لكي يقرأه ويسلِّمه لي للترجمة. فسقط المقال من يد المولوي في غفلة، وعندما وصل حضرته إلى البيت وجاء المولوي ودخل حضرته كالمعتاد إلى الداخل، قلت لأحدهم إن حضرته لم يرسل المقال اليوم، بينما الناسخ ينتظر، وعلي أنْ أترجمه قبل ذلك. في تلك

الأثناء رأيت المولوي قد اضطرب وتغير لونُه، فطلب من الحضور بمنتهى الاضطراب أن يبحثوا عن المقال، فقد سقط منه في الطريق، وكان نادمًا وخجِلا جدًّا مما سيقول عنه حضرتُه عليه السلام إذ لم يستطع الحفاظ على مقال قيّم. لكن حضرته حين عرف ذلك جاء بوجه بشوش وهادئ كالعادة مبتسمًا وأبدى الحزن على أنه سبَّب الاضطراب للمولوي المحترم إذ قد تعرض الأخير لقلق بسبب سقوط المقال. ثم قال: أنا آسف لما بذلتَه من جهود في البحث عنه، فإنني أؤمن بأن الله سبحانه وتعالى سيرزقني أفضل من ذلك.

أيها الإخوة، إن أصل هذه الأمور كلها هو الإيمان بالإله الحي القادر. فهذا الإيمان يحيي القوى كل حين وآن ويحمي الإنسان من كل أنواع اليأس والكآبة التي تدفع أهلَ الدنيا أحيانا إلى تصرفات مخجلة جدًّا. ذات يوم كان حضرته مصابا بصداع شديد، وكنت أجلس معه في الداخل، وبالقرب منه كان شغب يتجاوز الحدود. فقلت له: يا سيدي، ألا تتضايق من هذا الضجيج؟ فقال: إذا صمتوا فسأرتاح. فقلت له: لماذا لا تأمرهم بذلك إذن؟ فقال حضرته هذا لا يسعُني أنا، أما أنت فيمكن أن تقول لهم ذلك بلطف. فقد لاحظتُه مستلقيًا بهدوء في حجرة وحده حتى في أيام الأمراض الشديدة، وكأنه يتمتع بالنوم، ولا يشتكي أحدًا لعدم قيامه بعيادته وعدم الاهتمام به وخدمته.

لقد لاحظت أن الإنسان حين يمرض يتضجَّر مَن حوله من سوء طبعه ونزقه وانزعاجه من كل شيء، فتراهم يهربون منه بسبب ذلك، فهو يسبّ

هذا ويعاتب ذلك. أما زوجته المسكينة فلا ترتاح نهارا ولا ليلا، فإذا نعستْ قليلا بسبب التعب والإرهاق، يثير طوفانا، فهي المسكينة تحتار ماذا تفعل؛ فمن ناحية هي قد هدَّها التعب ومن ناحية تخشى أن يتفتت كبد المريض بسبب الغضب الحاد. باختصار؛ لا أحد يجهل أوضاع المريض والمرض. لكننا على عكس ذلك تمامًا نسمع منذ سنين أن حضرته عليه السلام لا يفقد حتى في المرض الطمأنينة والسكينة التي يتمتع بها في أيام الصحة. فلا يزعج أحدًا حتى في المرض. وعندما يتحسن من المرض يتكلم بلطفه المعروف ويقابل الزوّار بفرحة وسرور وبوجه طلق. فقد حدث معي أنني وصلت إلى حضرته بُعيد تحسُّنه من نوبة طويلة للصداع الشديد، ففتح العينين ونظر إليَّ مبتسما وقال: الحمد لله، أنا بخير الآن. فشعرتُ كأنه عاد قبل قليل من النـــزهة في بستان خلاب، وبسبب ذلك يوجد هذا الرونق والبهجة على وجهه واللذة والسرور في كلامه. كنت في البداية أستغرب جدًّا بملاحظة هذه المشاهد، إذ كنت قد لاحظتُ كثيرا من الصلحاء وأدعياء الهمة ورحابة الصدر كيف يتغيرون تمامًا في المرض، وبعد الشفاء أيضًا يبقَون عصبيين لمدة طويلة لدرجة أنْ يتمنى المرء فراقهم. إذا تكلم أحد معهم فهذا من سوء حظه. أهل البيت من الزوجة والأولاد يحذِّرون –ومن بعيد– الأجنبي من الاقتراب منه، فهو ثعبان أسود. فالحقيقة أنه تستقيم في المرض حواس الذي يكون مستقيم الأحوال في أيام الصحة. فمن الملاحَظ أن كثيرًا ممن يغلبهم الغضب يصبحون مجانين ومصروعين في المرض. فالمرض في الحقيقة محكّ عظيم لاختبار الإيمان

والعرفان والاستقامة. فكما أن الكلام في حالة السَّكَر والمنام والأحلام يعكس الصورة الحقيقية للإنسان، فالمرض أيضا مقياس لاختبار المؤمن والكافر والشجاع والجبان. فطوبى لمن لا يُفلت من يده لجام الثورة والغضب في الصحة.

أيها الإخوة، لما كان لا بد للإنسان من مواجهة المرض والموت، فاسعَوا جاهدين لتخلقوا في طباعكم السكينة والقرار، وأن تموتوا مسلمين، كما يتمنى كل مسلم أن يموت على الإسلام، الذي هو معلَّق بين الرجاء والخوف. وهو يتوقف على أن نسعى لإحراز الثبات والقرار والطمأنينة والاستقامة في أيام الصحة. وإلا فالثبات متعذر في تلك الساعة المخيفة التي تُفقد الصواب وتهز الأفكار والمعتقدات. يقول الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾[1]، فهذا التثبيت هو الذي ذكرتُه في سيرة حضرة خليفة الله. ذلك الإنسان الكامل الذي لا تؤثِّر فيه نار هذه الدنيا وآفاتها ومكروهاتها أيما تأثير. هو نفس المؤمن الذي ستقول له جهنم: أيها المؤمن، مُرَّ؛ فإن نورك قد أطفأ ناري، أيها المقرب الإلهي المتأبط الجنةَ كما يتأبط الطلاب الكتب، إنك من الله حتمًا. أجل، لستَ من هذه الدنيا المادية الكريهة. وإلا ما السبب أن هذه الدنيا تلقي عليك آفاتِها ومشاكلها، لكنها تمر من فوق رأسك كما تنقشع الغيوم بأشعة الشمس القوية. علامَ يدل قلبك النادر والهدوء الخارق للعادة، والسكينة

[1] إبراهيم: ٢٨

التي وهبت لك من بين ملايين الناس؟ إنما لتُعرف بامتياز أنك لست أرضيا بل أنت سماوي. إن أبناء هذه الأرض لم يعرفوك، وكان عليهم أن يفرشوا لك عيونهم ويسكنوك في قلوبهم، لأنك خليفة الله الموعود ومحيي الإسلام والخادم المخلص لخاتم النبيين ﷺ.

إلامَ أمدح عفوه وصفحه ورحابة صدره؟ فقد سرقتْ خادمة من داخل بيته كمية من الأرز، ولما كان السارق يخاف ويضطرب وهو ينظر إلى هنا وهناك بأسلوب خاص ويلاحظ اضطراب معين في أعضائه؛ فقد اكتشفها أحد في البيت بسبب هذه الأمور، وأمسكها، فأثيرت ضجة وعُثر على خمسة عشر كيلو غرامًا من الأرز عندها حيث كانت تخبئها تحت ردائها. وبينما بدأوا يُلْقون عليها اللوم ويؤنبونها إذ جاء إلى هناك حضرتُه عليه السلام أيضًا بالمصادفة، فسأل: ما القصة؟ فأخبرَه أحدٌ تفصيل ذلك، فقال بمنتهى اللطف: أعطوها قليلا ولا تفضحوها وتخلَّقوا بخُلق الستر الإلهي. فهو عليه السلام لا يستجوب أحدا ولا يعترض على أحد أن تصرفه الفلاني غير لائق، ولماذا يتكلم بكلام فارغ، وما إلى ذلك من الأمور. ففي البيت تتجلى هيبتُه وجلاله، فكما أن كل ولد وامرأة توقن بأنه عليه السلام لن يعاقب ولن يعنف، وفي الوقت نفسه قد أُشربوا احترامه وهيبته وإجلاله؛ فهم يخافونه أيضًا كما يخاف الناس من ذي البطش الشديد. فلا يسعني بيان امتزاج هذا الخوف والهيبة والحب واللطف معًا في مثال مادي. ولا أقدر على إفهام ذلك لأيٍّ من أبناء الدنيا. وإنما يدركه مَن كانت له علاقة بالله ﷻ. فقد ورد بيان

جلال الله وعظمته وخشيته وتقواه بأسلوب ترتعد الأوصال بتصوره ويشيب له الشابُّ. ومع ذلك يتقدم إليه العشاق كما يندفع الرضيع إلى ثدي أمه، مع أن الإنسان يهرب بالطبع من شيء مخيف. لكن ما هو الشيء الذي بسببه تحن الأرواح للقاء الله بلهفة غير مبالية بأبحر النار والماء؟ فهيبة خلفاء الله وعظمتُهم لا تكون على شاكلة من يفرض سيطرته على القلوب عنوة بالقهر والسطوة. ولا مثل الثعبان السامّ الذي بتأثير لدغه القوي تُصعَق الحيوانات الصغيرة. كما لا يكون حلمهم وتواضعهم كديوث خبيث القلب تكرهه كلُّ عين وقلب حتمًا. بل تكون هيبتُهم مزيجا من الحب واللطف، كما يكون حبهم مقترنا بالأدب والعظمة. ولهذا السبب تستريح الطهارة والطيبة والعفاف والتقى والاستجابة لأوامر الله تحت ظلِّهم، ولا يستطيع الشيطان وذريتُه الوصول إلى ذلك المكان. وإلا فهل من المحتمل أن لا يكون البطش، ولا يكون أي نوع من التهديد والعقاب، ولا يحدث أي خلل في النظام، ويكون البيت مثلا يحتذى لأروع محاسن لوازم العشرة كلها. فالفظّ غليظ القلب الذي ليست له أي سيطرة على نفسه، والذي يعيش كل حين وآن في فرن مشتعل، سيعترض فورا إثر سماع قولي هذا وسينظر إليه بإنكار واستبعاد. ذلك لأن الحفاظ على الهيبة المعهودة والأدب والغيرة في رأيه يقتضي أن يبقى المرء عابسا ومغتاظا كل حين وآن ويفتل الشوارب كالنمر. لكن شخصا مثله متعثِّر ونفسه الشريرة تخدعه خداعا شديدا، ليته يعرف أن أهله كلهم متبرئون منه وهم يفرحون حين لا يكون ذلك الراعي، ذئبيّ السيرة، في البيت.

لا يسأل حضرته عليه السلام زوجته مطلقا أين تم إنفاق النقود التي أعطاها، وهل فعلا أَنفقتْ ما طلبت، وما إلى ذلك من الأمور. فلا يحاسب مطلقا، ولا يوجد لتسجيل الحساب أي سجل للدخل والمصروف. فقد وهبه الله سبحانه وتعالى قلبا رحيبا وصدرا منشرحا بحيث لا يتسرب إليه القلق على هذه الأمور وبذل المساعي لتحقيقها والتجسس المادي. أنا أسلِّم بأنه لا يسع رجلا ماديا قد اتخذ نفسَه الضعيفة إلها أن يتبنى هذا الأسلوب، ولا هو يسعى لذلك، ولو أراد تكلفا لكان من المحتمل أن يتشتت شمله، ويفترق ويتبعثر. أما المؤمنون بإله حي قادر فأقوالُهم وأفعالهم نادرة. إن أجلى برهان على صدقهم وعدم خيبتهم في ثقتهم غير المزعزعة في ربهم هو كونُهم مستقيمي الأحوال ومحفوظين من الدمار والهلاك المحتمل الذي يخطر ببال رجال ماديين في مثل هذه الأوضاع. وإن أهل الله في الحقيقة لا يصيبهم القلق الذي يلازم كلاب الدنيا نتيجة انغماسهم في سجلات حساباتهم المالية عقابا على أعمالهم وعدم اتقائهم.

ذات يوم قال حضرته: لو تحلى الناس بالتقوى لخرجوا من بيوتهم خِماصًا خالي البطون كالطيور، وعادوا إليها وبطونهم مليئة. إن نار طلب الدنيا التي جعلتْ ابن آدم كلبا يلهث كل حين وآن، وفي داخله حرقة تلازمه، إنما سببها في الحقيقة عدم اليقين الراسخ بوعود الله وعدم التوكل عليه، واعتباره قواه مرجع الأمل والرجاء، فالطالب والمطلوب كلاهما ضعيفٌ، فالنتيجة الحتمية له أن لا يكون له قرار. إن هذه الأمور مدعاة

للضحك أمام أهل الدنيا المادية، فهم يسمّون أمثال هؤلاء بمنتهى الجرأة أشباه المجانين ومختلّي الحواس. لكن الحقيقة أنهم غافلون عن هذا العلم. إن اتّباع الهوى قد طمس قوى عبودية الله. باختصار؛ إن حضرته يثق بكل ذي نفس منفوسة، ويعدّ كل واحد صادقا بداهة.

مهما تكن امرأة بائسة الحال دميمة الشكل قبيحة المنظر التي إذا رآها سيئ الظن وحاد الطبع من هذا العالم ابتعد عنها، وأوصد أذنه إذا تحدثت ووضع يده على عينه وأنفه. أما حضرته عليه السلام فيستمع إليها بمنتهى اللطف والهدوء كأن عندليبا عذب الصوت يغرد أمامه، وأن بَبّغاء حلوة اللسان تقلِّد أمامه. فإن تكلمت إحداهن أمامه بكلام فارغ وسخيف لا يبدي لها حضرته حتى بإشارة أن كلامها سخيف وسماعه لها هدر للوقت. ولا يكذّب القصة التي قصت عليه. ولا يسأل أيا من خادماته كم أنفقتْ على الأغراض التي اشترت وما نوعيتها وإنما يستلمها والمبلغ المتبقي ويضعه في الجيب مغمض العينين. فهناك بعض الأولاد من العائلات الوضيعة المجهولة قليلة الهمة يعملون داخل البيت ويشترون الأغراض بعشرات الروبيات، ويذهبون إلى لاهور للتسوق ويشترون من هناك أشياء مهمة، فلم يسألهم ولم يستجوبهم ولم يطلب منهم تفاصيل الحساب قط. الله أعلم من أي نوع هذا القلب، وفي الحقيقة الله سبحانه وتعالى وحده يدرك حقيقة هذه القلوب المطهَّرة، الذي قد خلقها بمشيئته وحكمته الخاصة. ما أصدق قوله: ﴿اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾! لقد تقصيت وتحريت بشكل خاص وترقبت وألقيت

السمع ولقد تفرجت على المشهد في مثل هذه الأوقات بقلب وعقل ناقد، لكنني أقر بأن عيني وسمعي في كل مرة جاءا بما زاد إيماني وعرفاني. وفي هذه المدة الطويلة لم أسمع داخل البيت نقاشًا ولا محاججة ولا محاسبة أحد ولا استجوابه عن المعاملات. فسبحان الله ما أطيب الطبعَ وما أهدأ القلب الذي لا يعشش فيه شيطانُ سوءِ الظن، وكم جديرا بالغبطة القلبُ الفردوسي الذي وُهِبت له هذه السكينة. فالواضح أنه لو كان هذا الإغماض والثقة المطلقة قليل الوزن في المعاش والمعاد، أي لو كان مكروها في نظام العالم وفي نظر الله، لكان يجب أن يفسد النظام ويختلّ. لكن التقدم المستمر الملحوظ يشهد على أن الله ﷻ يحب مثل هذه القلوب حصرًا. إذا كان حضرته قد طلب من الخادمة إعداد طعام معين وكان الضعف يتطلب أن يُعدَّ له ذلك الشيء فورا وحتما، وهو لم يتناول وجبةً في انتظاره، وعندما انقطع عن الكتابة أو الإنابة إلى الله، تذكّر أنه لم يتناول الطعام وهو ينتظر أن يُحضَر له ذلك الطعام المعيَّن لكن مضى موعد تلك الوجبة وحان موعد العَشاء، فتراه لا يؤنّب أحدًا ولا يؤاخذه، وحين يسأل عنه بلطف فتقول إنها نسيت تراه ينصرف مبتسما.

الله الله! إن الخدام من الدرجة العادية والنساء داخل البيت يطبخون ما يريدون وهن يتصرفن كأنهن في بيوتهن، بينما لو أهملن طعام حضرته وتغافلن فهو لا يحاسبهن؛ فلم يقل قط حتى بكلمات لطيفة مثل: يجب أن تخفن الله أو اتقين الله.

فهذه هي الأمور التي تؤكد أن ما قاله النبي ﷺ بأن الله يُطعمه ويسقيه هو حقٌّ. يقول حضرته عليه السلام أيضا ما معناه: "إنني أعيش على وحي الله الذي معي، وإن إلهامه بمنـــزلة أنفاس الحياة لي".[1]

وفي الحقيقة إذا لم يكن هذا البيان صادقًا فمن ذا الذي يقدر على هذه القناعة سوى هؤلاء الناس ذوي الطبع الخارق للعادة. أتذكر أنه ذات يوم جاءت الخادمة بالطعام ووَضعته عنده ثم قالت: الطعام جاهز. فقال: حسنا، كنت أشعر بالجوع وكدت أنادي. فانصرفت وانشغل حضرتُه في التأليف، ثم جاء كلب وأكل ذلك الطعام بمنتهى الهدوء جالسا عنده حتى أفرغ كل ما كان في الإناء، وانصرف بمنتهى السكينة والهدوء. الله الله! كم وهب لهذه الحيوانات أيضًا من المعرفة، ومع أن ذلك الكلب لم يكن مروَّضًا وأليفًا، لكن الله أعلم كيف أيقن بحقٍّ بأن هذا الإنسان الذي لم يدُس تحت قدميه نملةً قط، ولم يرفع يده على عدوٍّ أيضا قط هو عديم الضرر. باختصار؛ بعد مدة رُفع الأذان وتذكَّر حضرته الطعام، فنادى الخادمة فجاءت وقالت إنها كانت قد وضعت الطعام عنده قبل مدة وكانت قد أخبرت حضرتَه، فقال لها مبتسما: إذن سآكل مساءً. تذكرتُ قصة من حلمه وأسلوب تعليمه وقوته القدسية، وهي أنه قبل سنتين نشأت عند أهل البيت، بمقتضى السنِّ وعدم العلم، عادةُ سماع القصص؛ حيث كانت تُقصّ حتى منتصف الليل القصص البسيطة البريئة المسلية، وحصل في سماعها

[1] ترجمة بيت فارسي، من نظم سيدنا المسيح الموعود عليه السلام. (المترجم)

استغراقٌ لدرجة كأنها مفيدة وقيِّمة. فحين علم بذلك حضرتُه لم يقل شيئا بلسانه، بل جمع أهل البيت كلهم ذات ليلة وقال لهم: اليوم سأقص عليكم قصتي، ثم تناول كلامًا يولّد في القلوب خشية الله وأقوالا مفيدة لدرجة أنْ تابت النساء كلُّهن وأقررن أنهن كنَّ غافلات وخاطئات، ثم تلاشت تلك العادة حتى من الذاكرة. إن التصرف السخيف عديم الفائدة الذي يقوم به مصلحٌ فَظٌّ في مثل هذه الأوضاع معروفٌ غير مجهول عند الجميع. فمن المحتمل أن ينجح حادُّ الطبع سيئ اللسان بقوة العصا، لكنه لا يقدر على جعْل البيت جنةً. أما سيرة إمامنا فهي أسوة حسنة في هذا المجال. فحرمُ حضرته المحترمة قد بايعتْه وتؤمن بصدق القلب أنه من الله، فهي لا تثق بشيء حتى في أشد الأمراض وأوقات الاضطراب كما تثق بدعاء حضرته عليه السلام. فهي تراه صادقًا ومصدوقا في كل أمر مثل أجلِّ الصحابة. فاسمعوا حادث إيمانها الكامل واعتقادها الراسخ. من المعلوم أن النساء يبغضن الضرة أشد بغض، فليس في العالم أي شيء أبغضَ وأفزع للمرأة من الضرة. لكن حرم حضرته دعت الله مرارا باكية لتحقيق نبوءته المتعلقة بالزواج الثاني، والتي قد تحقق جزءٌ منها، والجزء الثاني ليس من المستبعد أن يُفرح الأحبة عن قريب، وقالت مرارا مقسمة بالله على أنها بطبعها النسائي تكره الزوجة الثانية، لكنها بصدق القلب وانشراح الصدر تحب أن يتحقق كلام الله ويحرز الإسلام بذلك العزَّ والشرف، ويزهق الكذبُ ويبطل. ذات يوم كانت تدعو الله سبحانه وتعالى باكية في الصلاة في مكان منعزل، وحين فرغتْ من

الصلاة سألها حضرتُه: ماذا كنت تدعين بهذه الضراعة؟ فقالت: "كنت أدعو الله سبحانه وتعالى أن يحقق هذه النبوءة بفضله وقدرته" فسألها قائلا: كنت تدعين هذا الدعاء وأنت تعرفين أنه إذا تحققت النبوءة فستكون لك ضرةٌ! فقالت بعفوية وبدون تردد: مهما يكن من أمرٍ لا أبالي بما يصيبني بسبب ذلك، وإنما يُهمني أن يصدق ما قال الله سبحانه وتعالى وتتحقق نبوءتك.

أيها الإخوة، لا أجد هذا الإيمان حتى عند الرجال المسلمين، فمبارك ذلك الرجل وتلك المرأة اللذان بينهما هذه العلاقة الصادقة النقية. وكم يمثِّل البيت الجنةَ الذي صاحبه يتحلى بهذه الأخلاق وأهلُ بيته من هذا القبيل. أنا أؤمن بأن المرأة تعلم جيدًا فيما إذا كان زوجها سيئا أو صالحا أو مكارًا ومخادعًا وصادقًا وتقيا. فلا شيء يبقى خافيا في الحقيقة على رفيقٍ من هذا القبيل. إني دومًا أعدّ إيمان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الذين كانوا في سنّه وكانوا مطلعين على سيرته وإيمان أزواجه المطهرات بصدق القلب ثم وفائهم له في حياته وبعد الموت أيضًا أكبرَ دليل على صدق النبي صلى الله عليه وسلم. لقد وُهبت للصحابة رضي الله عنهم فراسةٌ كاملة وحسٌّ زكيٌّ بحيث كانوا يميزون محمدًا القائل "أنا بشر مثلكم" عن محمد القائل "إني رسول الله إليكم جميعا". فكان صحابتُه الأوفياء إخوان الصفا وعديمو الغش يجالسون مرة محمدًا بصفته البشرية فقط ويحدِّثونه بانبساط ودون أي تكلف وفي أمور الحياة اليومية، فيعترضون ويردون قوله أحيانا. كما كانت أزواجه في البيت مرة يتكلمن معه ويختلطن معه ويؤانسنه بحيث لا يوجد أي حجاب من الحشمة أو التكلف،

بينما يُرَون في وقت آخر جالساتٍ أمامه مطأطئات الرؤوس بمنتهى الأدب والاحترام كأنهن أعمدة تبني الطيور عليها الأعشاش، ويعتبرن التقدم عليه أو رفع الصوت عنده أمرًا يحبط أعمالهن، وهن مطيعات ومنقادات له ﷺ لدرجة أنهن يتخلين عن إرادتهن وعلمهن وتقاليدهن ويتركن أهواءهن لأمر الرسول ﷺ كأنهن دُمًى لا عقل لها ولا إرادة. وإن هذه الطاعة المخلصة والانسلاخ من الأنانية واتباع الرأي بجلاء يستحيل على القلوب ما لم توقن بأن فلانا صادق وعديم الرياء ومن الله. ومثل ذلك ألاحظ أن زوجة حضرته عليه السلام تؤمن بصدق القلب أنه المسيح الموعود وهي تفرح بتبشيراته وتخاف إنذاراته. باختصار؛ إن هذه الصاحبة الجليلة تتفق مع حبيب الله وتنشئ به علاقة صادقة، ومثل ذلك أنه بقدر ما يكون أحد صديقًا مخلصا له وجليسا مطلعا على سيرته، يؤمن بالقدر نفسه بصدقه عليه السلام. وبقدر ما يعيش أحد في صحبته، يتقدم في الحب وحسن الظن به كثيرا مقارنة مع الآخرين.

من حِلم حضرته ورحابة صدره أني رأيته مئات المرات يتأمل جالسا وحده في الغرفة الفوقانية، ومن عادته القديمة أنه يغلق عليه الباب. فمرةً رأيتُ أحد الأولاد قد قرع الباب بشدة وقال: افتح الباب يا أبي، فنهض وفتح الباب فدخل الصبي الغِرُّ في الغرفة ونظر هنا وهناك وخرج من حيث أتى. فأغلق حضرتُه الباب كعادته لكن الولد عاد بعد مضي دقيقتين بالكاد ودفع الباب بشدة وصرخ: افتح الباب يا أبي. فنهض حضرته بمنتهى الهدوء

والطمأنينة وفتح الباب، لكن الولد هذا المرة لم يدخل الغرفة وإنما أطل من الباب وتكلم بشيء وعاد، وجلس حضرته بشوشا مغلِقا عليه الباب وانشغل في الأعمال الحساسة والمهمة. ولم تمض خمس دقائق إلا وعاد الولد مرة ثالثة وبمنتهى الشدة نفسها طرق الباب قائلا: افتح الباب يا أبي. فنهض حضرته بالوقار المعتاد وفتح الباب، ولم ينبس بكلمة واحدة، حتى: ماذا تريد؟ لماذا تعود مرة بعد أخرى وتكدر علي الصفو وتزعجني؟ ولقد عدَّدت أن الولد جاء عشرين مرة تقريبا، فلم تصدر من فم حضرته ولا كلمة واحدة من زجر وتوبيخ.

أحيانا تأتيه النساء البسيطات الأميات طلبا للدواء أو الوصفة، فيطرقن الباب بكل شدة، ويقلن له بلهجة جاهلة "سيادةَ المرزا، افتح الباب" فينهض كأنه تلقَّى الأوامر من السيد المطاع الجليل، ويحدثهن بوجه طلق وانبساط ويصف لهن الدواء. من المعلوم أن المثقفين أيضا في بلادنا لا يهتمون بالمواعيد ولا يقدرون الوقت، أما البسطاء فهم يهدرون الوقت أكثر. فذات مرة بدأت امرأةٌ تتكلم بكلام فارغ، وبدأت تشتكي إلى حضرته مشاكل البيت وشجارها مع حماتها وأخت زوجها، وأضاعت ساعة كاملة في ذلك. فظل حضرته يستمع إليها بمنتهى الوقار والصبر، ولم يقل لها ولو بإشارة خفيفة أنِ انصرفي؛ فقد استلمتِ الدواء فلا تضيِّعي وقتي، إلا أنها بعد وقت نهضتْ بنفسها وانصرفت. ذات يوم جاءته نسوة كثيرات بأولادهن ليصف لهم حضرته الدواء، وفي الوقت نفسه خرجتْ من الداخل أيضا بعض النساء

بالأواني للحصول على شراب معين. بينما كان يريد أن يكتب مقالا دينيا مهما وكان يريد أن ينجز المهمة عاجلا، وفي هذه الحالة حضرتُ أنا أيضا عنده بالمصادفة، فرأيت حضرته قائما نشيطا كما يقوم أي أوروبي إلى عمله ووظيفته المادية بنشاط، وقد فتح حضرته خمسة أو ستة صناديق، وهو يعطي البعض دواء من زجاجات صغيرة وللبعض دواءً آخر، وظل يشتغل هذا المستشفى مدة ثلاث ساعات متتالية. وبعد الفراغ من ذلك قلت له: يا سيدي، هذا العمل شاقٌّ جدا، وبذلك تُضيع الكثير من أوقاتك. لكن سبحان الله! بأي نشاط وطمأنينة قال لي: هذا العمل أيضا دينيٌّ، هؤلاء مساكين، ولا توجد في المنطقة أي عيادة أو مستشفى، وإنني أشتري من أجل هؤلاء الأدوية الإنجليزية واليونانية التقليدية من كل نوع، وهي تفيد عند الطلب. ثم قال: إن هذا عمل ثواب عظيم، وينبغي أن لا يتهاون أو يتغافل المؤمن في هذه الأعمال.

لقد ذكرت الأولاد قبل قليل لكن دأب حضرته مع عامة النساء الخادمات أيضا هو نفسه، فبعضهن كانت تأتي مرات كثيرة وتطلب منه الشيء نفسه ولم يقل لها: أيها الشقية، لماذا لا تأخذين ما تريدين مرة واحدة، ولماذا تزعجينني. ولقد شاهدتُ مرات كثيرة أن أولاده والأولاد الآخرين جالسون على سريره، وازدحموا حتى اضطر للجلوس ناحية الأقدام، وهم في لهجة الأطفال يسردون عليه القصص المسلية عن الضفادع والعصفور مثلا، ويقضون ساعاتٍ وساعاتٍ في ذلك، وهو يستمع إليهم

ويستمتع كأن أحدًا يقرأ عليه المثنوي للرومي. إنه عليه السلام يعارض جدًّا ضرب الأولاد وزجْرهم، فمهما تعنَّت الأولاد وتصرفوا بعناد وأصروا على طلبهم وألحوا على توفير شيء موهوم خيالي، فهو لا يضربهم ولا يعنفهم ولا يبدي أي علامة للغضب. أتذكر أن محمودا كان ابن ثلاث سنوات تقريبا وكان حضرته في لدهيانه وذلك في فصل الصيف، وكان جدارٌ بين مبيت الرجال ومبيت النساء، وكنت أيضًا بالمصادفة مع حضرته، وفي منتصف الليل استيقظتُ وسمعت بكاء محمود وكان حضرته يقوم بتسليته بأشياء من هنا وهناك وكان يحمله ومع ذلك فلا يكاد يصمت. وأخيرا قال له حضرتُه مشيرا إلى السماء: انظر ما أجمل تلك النجمةَ، فنظر الصبي إلى شيء جديد وتوقف عن البكاء قليلا ثم عاود البكاء سريعا وبدأ يقول "يا أبي أريد الذهاب إليها"! فما أجمله من ردٍّ ردَّ به حضرته على طلبه فقال: "حسنا، كنا قد فكرنا في تهدئته، ولكنه اخترع سببا آخر للعناد والبكاء" وأخيرًا حين تعب من البكاء سكت ونام، لكن حضرته خلال هذه المدة كلها لم يتفوه ولو بكلمة واحدة تعبّر عن الانزعاج والضجر ولم يشتكِ قط. والحديث بالحديث يُذكر، أود أن أقول إن حضرته يعارض جدًّا ضرب الأولاد، فقد لاحظت مرارا أنه لا يغضب على شيء كما يغضب على من يضرب الأولاد. هنا كان أحد الصلحاء قد ضرب ولده كالمعتاد، فتأثر حضرته بذلك كثيرا، فاستدعاه وألقى خطابا مؤثرا جدا. وقال: إن ضرب الأولاد هكذا يندرج برأيي في الشرك، وكأن غليظ القلب يريد بذلك أن

يجعل نفسه شريكا في الربوبية والهدى. ثم قال: إن الثائر حين يعاقب على أمر يزداد اشتعالا حتى يصبح عدوا، ويتجاوز في العقاب حد الجريمة كثيرا. إذا كان أحد أبيًّا ويتحكم بنفسه، وكان يتحلى بكامل الهدوء والصبر والحلم والسكينة والوقار، فيحق له أن يضرب الولد إلى حدٍّ ما وفي وقت مناسب، أو يحدق به. أما المغلوب بالغضب واللئيم وطائش العقل، فلا يستحق أبدا أن يتكفل الأولاد. ثم قال: بقدر ما تُبذل الجهود في العقوبة ليتَهم ينصرفون إلى الدعاء ويتخذوا الدعاء للأولاد عادةً يومية لهم، وذلك لأن القبول قد وُضع لدعاء الوالدين بحق الأولاد. أما أنا فأدعو بعض الأدعية يوميا بالتزام:

أولا: أدعو لنفسي أن يوفقني الله سبحانه وتعالى توفيقا كاملا لعمل يتبين منه عزتُه وجلاله وأن يكرمني برضاه.

ثانيا: أدعو لأهل بيتي أن يهبني الله منها ذرية تكون قرة عين لي، وتسير على سُبُل رضا الله سبحانه وتعالى.

ثالثا: أدعو الله تعالى لأولادي أن يكونوا خداما للدين.

رابعا: أدعو لأصحابي المخلصين بأسمائهم.

خامسا: أدعو لجميع المنتمين والمنضمين إلى هذه الجماعة، سواء أعرفهم أم لا.

وفي هذا الخصوص قال: حرام على من يتغافل عن أتباعه دقيقة واحدة أن يكون شيخا أو خليفة لشيخه. ثم قال: إن الهدى والتربية الحقيقية من

فعْل الله، أما الإصرار الملح وتجاوز الحدود في الإصرار على أمر ما، أي الاعتراض على كل تصرف للأولاد ومنْعهم من كل شيء، يُبدي وكأننا نحن أهل الهدى ونستطيع أن نسيِّرهم على الصراط، فهو نوع من الشرك الخفي، ويجب أن يجتنبه أبناء جماعتنا. ثم قال بشكل قاطع وحاسم، وأصدر أمرًا خطيا أيضًا بأن أي أستاذ يتعود على الضرب في مدرستنا ولا يكفّ عن تصرفه غير اللائق هذا، يجب أن يسرَّح فورا. ثم قال: أما نحن فندعو لأولادنا ونعوِّدهم على التمسك بالقواعد والآداب العامة ثم نتوكل على الله كليا، فحيثما تكون فيهم بذرة السعادة ستزدهر في وقتها.

أيها الإخوة، يجب أن نتعلم من عمله عليه السلام؛ ففي جماعتنا مَن يُصدر ادعاءات كبيرة، ويدّعون أنهم قطعوا جميع أشواط المعرفة، لكنهم ينقلبون سباعًا في الغضب على أبسط الأمور، وتصرُّفُهم مع الأولاد ليس جيدا، فهم يرون الضرب واجبا عليهم، ويأتون على ذلك ببراهين كبيرة، لكني أتوقع أنهم سيغيِّرون سلوكهم.

إن حضرته لا يهتم نهائيا بزينة البيت واللباس ولا يبالي به مطلقًا، مع أن مكانة حضرته بفضل الله ورحمته ومرتبته رفيعة لدرجة أنه إذا أراد فيمكن أن تكون لبِن بيته من الرخام، ويمكن أن تكون ملابسه من سندس وحرير. لكن مكان جلوسه بسيط وعادي لدرجة لا يقبل أي مولع بالنظافة المعروفة الجلوسَ فيه لحظة واحدة. فقد رأيت مرارًا الأريكة الخشبية التي يجلس عليها نهارا في الصيف قد علاها الغبار فاتسخت بسببه، فلم يقل لأحد لماذا لم

تنظَّف. وإذا اهتم بها أحد ونظَّفها لم يلتفت إليه حضرته أيضًا، و لم يقل: كم هي نظيفة اليوم. باختصار؛ هو غارق ومنهمك في عمله لدرجة أنه لا يهتم بهذه الأمور العادية. فحين طرأت الحاجة لبناء البيوت للضيوف أوصى مرارًا بأن لا تبذل النقود عبثا على اللبن والأحجار. بل ينبغي أن يكتفي البناؤون بما يسدّ حاجة المبيت لعدد من الأيام. كان نجار يعدّ أدواته وينظِّفها، فأوقفه حضرته قائلا: إن هذا العمل هو من التكلف المحض والتأخير عبثا، فاختصِر العمل. ثم قال: إن الله يعلم أنه ليس لنا أي شغف أو ولع بالبيوت، إنما نحسب أحبتنا مشاركين في بيوتنا، ولي أمنية عارمة أن نعيش عددا من الأيام معا. ثم قال: أتمنى أن يكون بيتي وسط بيوت الأحبة بحيث تكون في كل بيت نافذة حتى أكون على صلة بكل واحد في كل وقت.

أيها الإخوة، هذا الكلام حق والأحداث تشهد على صدقه، حيث نرى كل زاوية وحجرة من بيت حضرته مزدحمة بالضيوف وأعطي لحضرته بقدر الجزء المقسوم مكانٌ صغير للعيش، وهو يعيش فيه كأنه يقيم في خانٍ سيرحل منه قريبا ولن يبقى للأبد.

أما عن لباسه فكان لديه رداءٌ كبيرٌ من الصوف وهو غالٍ لدرجة أنه لو كان لرجل مادي لاهتمَّ به كثيرا، ولقضى في الاعتناء به وقتا طويلا، وكـــأنه يعبده. أما حضرته فلا يعيره أدنى اهتمام وكأنه قطعة قماش عادي جدا. لقد انقطعت أزرار سترته لعدم إدخالها في العُرى المقابلة لها، فقال يوما: إن تركيب الأزرار أيضًا ليس عملا سهلا، فأزراري تنقطع سريعا.

ثم قال: إن هذا العمل يضيع فيه وقت كثير. وإن كان مريحا أيضًا في الوقت نفسه. ثم قال: أما أنا فيشقّ علي ضياع الوقت الذي أصرفه في التبول والتغوط، وأتمنى أن أبذل هذا الوقت أيضا في مهمة دينية. ثم قال: أي شغل أو تصرف يأخذ جزءا من وقتي ويتسبب في الحرج في الأعمال الدينية فأنا أتضايق منه كثيرا. ثم قال: حين تطرأ أي مهمة دينية ضرورية أحرم نفسي من الأكل والشرب والنوم قبل أن أنجزها. نحن للدين ونعيش من أجل الدين، فيجب أن لا يمنعنا أي شيء من أعمال الدين.

أتذكر أنه ذات يوم في فصل الشتاء وضع محمود الصغير لبنة في جيب سترته عليه السلام، وعندما استلقى حضرته رضَّته اللبنة وكنت أيضا عنده، فطلب من خادمه "حامد علي" قائلا: يا حامد علي، منذ بضعة أيام أشعر بألم في الضلع، وأشعر كأن شيئا يرُضُّني، فاستغرب ومسح جسده المبارك بيده، إذ لمستْ يده لبنة، فأخرجها فورًا من جيبه وقال لحضرته: هذه التي كانت ترضُّك. فقال مبتسمًا: تذكرت أن محمودًا قبل بضعة أيام وضعها في جيبـــي وأوصاني بأن أحتفظ بها ولا أُخرجها، فهو يريد أن يلعب بها. باختصار؛ لم يكن يهتمّ باللباس. من المحتمل أن يقول أي إنسان مادي غير عارف بالحقائق -قياسا على نفسه ونظرا إلى لباس حضرته النفيس- إن حضرته يحب الألبسة الجيدة. لكن الذين يعايشونه ويجالسونه ليلَ نهار يعرفون جيدا عدم اهتمامه باللباس. فقد قال ذات يوم: كنت ألبس الثياب التي تنسج وتخاط في البيت، أما الآن فهؤلاء يُحضرون الملابس لي بمشيئة

الله، لكن الله يعلم أني لا أجد أي فرق بين هذه وتلك.

إن حضرته يتحلى بالتواضع والحلم وانكسار النفس بحيث يستحيل أن يفوقه أحد. فلو كان جالسًا على الفَرْش وكان الناس على السرير، فلا يشعر قلبُه المبارك بهذا الفرق أبدًا. فمنذ أربعة أعوام حدث ذات يوم أن كان أهل بيته مسافرين إلى لدهيانه، وكان ذلك في شهر حزيران، وكانت بعض الغرف في الداخل حديثة البناء. وعند الظهر وجدت هناك سريرا فاستلقيتُ عليه، ثم غفوتُ وكان حضرته يتمشى قريبًا، وبعد لحظات حين استيقظت وجدت حضرته مستلقيا على الأرض عند سريري، فنهضت مذعورا بدافع الأدب، فسألني بمنتهى اللطف لماذا نهضت؟ فقلت له: كيف يمكن أن أبقى فوق السرير وسيدي مستلقٍ على الأرض؟ فقال مبتسما: إنما كنت أحرسك من الأولاد الذين يثيرون الضجيج والشغب، وكنت أمنعهم حتى لا يزعجوك ويحدثوا الخلل في راحتك.

في الخارج ليس لحضرته أي مقعد مميز، ولا يستطيع أي أجنبي أن يميزه بمظهره، فهو دومًا يجلس في المسجد على أقصى يمين الصف بهدوء كأنه غارق في بحر التفكير ويسبّح بسكينة. أما أنا فغالبا أجلس في المحراب، لذا أكون بمحاذاة الباب، وحدث كثيرًا أن أحد المشتاقين لزيارته دخل المسجد فتوجَّه إلي مباشرة، ثم انتبه إلى خطئه أو وضح له أحدٌ بإشارة مَن هو المستحق لذلك. يجتمع في مجلسه الاحتشام والوقار والحرية وعدم التكلف في آن معا، وكل خادم يوقن بأن حضرته يحبه أكثر. وكل واحد يستطيع

أن يطلب ما يريد بعدم التكلف. فمهما طالت قصة أحد لساعاتٍ وكانت سخيفةً وخيالية، فهو يستمع إليها بأذن صاغية. أحيانًا يملّ الحاضرون من السماع على قدر سعة قلوبهم ورحابة صدورهم ويبدأون بالتمطّي، لكن حضرته لا يُبدي أي تصرف يوحي بالملل أو السآمة حتى لحظة واحدة. فهو لا يجلس في مجلسه مطأطئ الرأس غارقا في الأفكار، كأن الحضور يجلسون أمامه في حلقة وكأنهم صور معلقة على الجدار، كلا بل كان حضرته يلقي الخطاب أيضا بمقتضى المحل، وأحيانا يلقي، دحضًا للباطل وردًّا عليه، خطابا مفوَّها بمنتهى الحماس والقوة وكأنه يشنّ الهجوم على جيش عرمرم، وحين ينظر إليه أجنبي يظن كأن الحرب دائرة.

إن مجلسه يتصبغ بصبغة مجلس النبي ﷺ تماما، إذ كان مسجد النبي ﷺ هو نفسُه مجلسَه، وهو كان مكانًا لسدّ جميع الحاجات. فلو جاء إلى مسجده ﷺ زاهد –قد انقطع عن الدنيا وسكن في الغابة وظن بذلك أنه قد أصبح من أهل الله– ورآه ﷺ يتكلّم مع الصحابة عن الجهاد، ويأمرهم بشحذ الأسلحة وتنظيفها، فهل يمكن أن يظن أنه رحيم وكريم لدرجة يدعي بحقٍّ وجدارة أنه "رحمة للعالمين"، وأنه يراعي حقوق الله ومخلوقاته أكثر من أهل الدنيا كلهم.

ومثل ذلك؛ ذات يوم جاء إلى مسجدنا شخص يحب الدراويش والزُّهاد وأصحاب الزوايا ويبدي الإعجاب بهم، فاستغرب جدًّا حين رأى الناس يتكلمون مع حضرته بحرية تامة. فقال لحضرته: لا يراعى الأدب في

مسجدكم، حيث يتحدث الناس معك دون أي تردد أو خوف. فقال حضرته: "ليس مذهبي أن أجلس فظًّا غليظ القلب حتى يخافني الناس خوفَهم من السباع، إنني أكره أشد الكراهية أن أكون وثنًا، إنما أتيت لأكسر الأصنام، لا أن أكون صنما يعبدني الناس. الله أعلم أني لا أفضِّل نفسي على الآخرين أدنى تفضيل، فأنا لا أرى خبيثًا وعابدَ صنم أكثر من المتكبر، فالمتكبر لا يعبد أي إله وإنما يريد أن يُعبَد هو."

إن حضرته ينادي خدامه وأصحابه بمنتهى الأدب والاحترام، ويذْكرهم في الحضور والغياب بأدب، فقد سمعت مرارا أنه عندما يتكلم مع زوجته المحترمة داخل البيت ويأتي ذكر أي من أصحابه أثناء الحديث فيذكره باحترام كما يذكره أمامه. فهو لا يخاطب أحدًا بصيغة "أنت" وهذه هي عادته ودأبه في الكتابة أيضا أنه يكتب مثلا: "أخي حضرة المولوي المحترم" و"أخونا حبي في الله المولوي المحترم". ومثل ذلك يقول في الخطاب أيضا: "إن حضرة المولوي المحترم يقول كذا". بينما رأيت كثيرا من المشايخ والزهاد أنهم يجدون ذكر المريد باحترام عارًا عليهم وحطًّا من شأنهم. كان "كيسر شاه" صعلوكا متجاسرا وسكيرا، وكان ابنه قد بلغ من العمر ٢٤ أو ٢٥ سنة، وكان وقحا ومدمنا على شرب الخمر، وكان يرتكب جميع المنهيات، قد جاء مرة إلى سيالكوت. بينما المرحوم شيخ "الله داد" الموظف في المحكمة والمحترم في المدينة، وبسبب مركزه الظاهري كان مشهورا ومقبولا في الناس، لكنه لسوء حظه وقلة علمه الديني كان مريدا لكيسر شاه. فجاء هذا الشاب إلى بيت

الله داد، ورأيته كلما خاطب شيخَ الله داد، خاطبه بكلمات لا تنم عن أي احترام. باختصار؛ يرى كثير من المشايخ والزهاد ذكر أسماء أتباعهم بأدب واحترام عارًا كبيرا عليهم، وكأنهم يرتكبون إساءة كبيرة. أما حضرته فلم أسمعه قط خلال المدة الطويلة يخاطب أحدًا في مجلسه بـــ"أنت". وإلى ذلك يجب أن ينتبه أفراد جماعتنا بشكل خاص ولا سيما يجب على أهل لاهور أن يهتموا بذلك كثيرًا. فقد لاحظت أنهم لا يذكرون بعضهم بأدب. قبل فترة جاء شاب إلى قاديان، فكان أثناء ذكر الإخوة والأحبة يستخدم صيغة المفرد -علمًا أن في اللغة الأردية تُستخدم صيغة الجمع دومًا للأدب والاحترام، ويعدّ استخدام صيغة المفرد من قلة الأدب- على شاكلة من يَذكر أناسا حقيرين. فالمؤسف أن الكثيرين ما زالوا غافلين عن الحقيقة أن الأدب يولِّد في القلوب الطهارة والزكاء، ويولد الحب سرًّا. فحين يظنون أو يقولون بألسنتهم أنهم أصدقاء عديمو التكلف فهم يخدعون أنفسهم. فإذا كانوا يريدون أن يكونوا جماعة طاهرة، ويرجون الأيام المباركة، فليرفعوا تمييز الصغير والكبير من بينهم، وليدفنوا أفكار تفاضل العائلات وأن فلانا نبيل وأن فلانا آخر وضيع. فليعاملوا كل واحد بأدب واحترام، ويذكروهم في الغيب باحترام. وعندئذ سيجعلهم الله مصداق الآية: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ﴾[1]، وسيكونون للعالم بمنـــزلة الشهداء والمصلحين.

---

[1] الحجر: ٤٨

إن مكان زيارة حضرته بصفة عامة هو المسجد، فهو يصلي الصلوات الخمس جماعةً في المسجد إن لم يكن مريضًا، ويؤكد بإصرار على الالتزام بالصلاة جماعة. ولقد قال مرارا إنه لا شيء يحزنه أكثر من فوات الصلاة جماعةً. أتذكر جيدا أن في الأيام التي كان فيها عدد الزوار قليلا كان حضرته يقول بالْتياع وكانت لدية أمنية عارمة في أن تكون له جماعةٌ خاصة ليصلي معهم الصلوات الخمس جماعةً. وكان يقول: إني أدعو لذلك وأرجو أن الله سيتقبل دعائي. فاليوم قد نزلت أفضال الله سبحانه وتعالى لدرجة أنّ عدد المصلين في هذا المسجد لا يقل عن تسعين مصلّيًا من جماعته. بعد أداء الصلاة المكتوبة يتوجه حضرته إلى الداخل فورًا وينشغل في أعمال التأليف، أما صلاة المغرب فبعدها يجلس في المسجد، ويتناول الطعام أيضًا هناك مع الأحبة. وبعد أداء صلاة العشاء ينتقل إلى الداخل. كذلك يتناول وجبة الغداء أيضا مع الأحبة. وفي ذلك الوقت أيضا يتحدث مع الناس حول موضوع ما. يُستشف من كل تصرُّف له أنه لا يحب أي وجاهة أو شرف، وإنما يجالس الناس بأمر من الله فقط. فقد قال: لو خيَّرني الله سبحانه وتعالى في الانفراد والخلوة ومُجالسة الناس لاخترت والله الخلوة. إنما هو الذي أخرجني إلى العالم، فاللذة التي أتمتع بها في الخلوة لا يعرفها غير الله. لقد جلست في الخلوة قرابة ٢٥ عامًا، ولم أرد ولا لحظة واحدة أن أشتهر أو أكسب أي صيت، فكنت بطبعي أكره الجلوس مع الناس والاحتكاك بهم، لكنني مضطر لذلك بأمر وليّ الأمر. عندما أجالس

الناس في الخارج وأحدِّثهم وأخرج للنـــزهة فإنما استجابة لأوامر الله ﷻ فقط. إن حضرته يردّ على السائل عن الدين بلطف وهدوء -حتى لو تجاسر وكان الكلام حول دعواه عليه السلام- ويحاول بصبر أن يستوعب السائل ما يقوله حضرته.

ذات يوم دخل مسجدَنا هنديٌّ يفتخر بعلمه ويعدّ نفسه محنكًا وخبيرًا ومثقفًا، وبدأ يتكلم مع حضرته عليه السلام حول دعواه بمنتهى الإساءة. وبعد وقت قصير قال لحضرته مرارًا: إنك كاذب في دعواك، ولقد رأيت كثيرًا من المكارين من هذا القبيل، بل أنا أضع في جيبـــي كثيرا من أمثالهم. باختصار؛ تكلم بمثل هذا الكلام المسيء المتجاسر، لكن حضرته لم يُظهر على جبينه أدنى عبوس، بل قد استمع إليه بهدوء، ثم عندما جاء دورُه تكلم بمنتهى اللطف.

مهما يكن كلام أحد بذيئا وسخيفا وفي غير محله ومهما كان مقال أحد غير متماسك نظمًا أو نثرًا وغير موزون وغير مترابط، فلا يبدي أي نفور أو كراهية عند الاستماع إليه أو بعده في غيبته. لقد حدث كثيرًا أن بعض السامعين انصرفوا من المجلس مللا من سخف الكلام ولغوه، وبدأوا يتهامسون فيما بينهم وأبدَوا كراهية ونفورًا من الكلام. أما بعد انتهاء المجلس فكل واحد تقريبا تكلم ضد ذلك الكلام وأبدى انطباعه المعاكس. أما خليفة الله الحليم والشاكر فلم يفعل ذلك ولو بإشارة خفيفة. عندما يقدم أحدٌ خدمةً لحضرته أو ينظم شعرا أو يكتب مقالا تأييدا للحق

فيفرح حضرته كثيرا ويُكرمه إكراما كبيرا. ولقد قال مرارًا وتكرارا أنه حين يُخرج له أحدٌ كلمةً واحدة فقط تأييدا للدين فهو يجدها أغلى من سلةٍ من اللآلئ والدراهم. فكان حضرته يُهمه الدين وخدمتُه فقط. فقد قال إن الذي يريد أن نحبه وأن تصعد أدعيتُنا بحقه إلى السماء بلوعة وحرقة وتواضع، فليؤكد لنا أنه يملك الكفاءة لخدمة الدين. فقد قال مرارا مُقسما بالله سبحانه وتعالى: نحن نحب كل شيء ابتغاء مرضاة الله فقط، فعلاقتنا بالزوجة والأولاد والأحبة من أجل الله فقط. فكل من يعقد علاقة حب به ثم يوطِّدها فهو يخجل بالحب الذي يتلقاه في المقابل، ويجد حبَّه خفيفًا جدًّا. ليس في الدنيا إنسان يقلق على أقاربه ويهتم بفائدتهم ومنفعتهم كما يهتم حضرتُه عليه السلام بأبناء جماعته، بشرط أن يكونوا مؤمنين ومتقين وخدامَ الدين. فهو بصفة عامة يُعنَى بإصلاح الجميع وفلاحِهم، إلا أن علاقته ومودته للمؤمنين متميزة جدا.

في تشرين الأول/ أكتوبر الماضي مرضتُ أثناء جولتي في سيالكوت لبضعة أيام، وتفاقم المرض. وتدهورت صحتي جدا، فكتب صديقي العزيز مير حامد شاه -نائب رئيس الشرطة في محافظة سيالكوت- إلى حضرته عن مرضي. فالرسالة التي أرسلها حضرته ردًّا على ذلك أرى أن نسخها هنا ضروري جدا، فهو في رأيي دليل كبير على كونه عليه السلام خليفة الله، وإنما الأعمال بالنيات. وهي:

أخي المكرم المولوي عبد الكريم المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

لقد استلمت الآن في الساعة الثانية ليلا تقريبا الرسالة التي أرسلها أخي السيد حامد شاه عن مرضكم. الله أعلم كم من القلق والحزن أصابني بعد قراءتها. أكرمكم الله برحمته الخاصّة، ولسوف أدعو لكم بشكل خاص. الواقع أن في جماعتي كلها اثنين فقط قد وقفا الحياة من أجلي في سبيل الله. أحدهما أنتم والثاني المولوي الحكيم نور الدين المحترم، وإلى الآن لم يظهر الثالث. لذا فالقلق والاضطراب الذي أصابني لا يعرفه غير الله، شفاكم الله ورحمكم وأطال عمركم، آمين ثم آمين. أرجو أن تخبروني عاجلا أنكم استعدتم الصحة كاملة.

العبد المتواضع

مرزا غلام أحمد

من قاديان ١٨٩٩/١٠/٢٤

أشكر الله ﷻ على أني شُفيت إثر دعائه لي. باختصار؛ كل واحد من زمرة أحبتنا المخلصين يقر بصدقٍ أن يد حضرته فوق يده وأن حضرته يفوقه دومًا. إذا قرأ علينا مقالا له أو إعلانا مسوَّدا في المجلس -لأن من عادته أنه يقرأ المقال أو الموضوع أو الإعلان على الأحبة قبل إرساله للطباعة- فاعترض أحد واقترح شيئا، فيفرح كثيرا، فقد وجدتُه في هذه الخصلة عديم النظير. فمن المعلوم أنه إذا اعترض أحد على كلام شيخ أو

مؤلف من أهل الدنيا فيستشيط غضبا ويعدّ نفسه معصومًا[1]. لا يلوم حضرته أحدَنا على خطئه وعثاره، وإذا لم يعجبه تصرُّفُ أحد فيتناول الموضوع إجمالا في مجلس ما بأساليب مختلفة؛ فإذا كان سعيدا فيفهم تلقائيا،

[1] حاشية: لقد تذكرت أمرا غريبا عن علاقة حضرته بخدامه وأصحابه، فقد قال ذات يوم: إن مذهبي أن الذي يعقد علاقة الصداقة بي فإني أراعي وأحترم هذه العلاقة وأعتني بها لدرجة أني لا أستطيع أن أقطعها مهما حصل ومهما تصرَّف. أما إذا قطع العلاقة هو نفسه فنحن مضطرون. أما أنا فمن مبادئي أنه لو كان أحد أصدقائنا قد شرب الخمر وسقط في السوق سكرانا وازدحم الناس حوله فسوف نحمله إلى البيت دون أن نخاف لومة لائم. ثم قال: إن علاقة الصداقة جوهرة غالية، وينبغي أن تقدر ولا تضاع. ومهما صدر أمر مسيء من الأصدقاء ينبغي الإغماض والصبر عليه.

يجب أن يتلقى الأخوة الدرس العظيم من هذه السيرة. فإبداء العناد والغضب على كل صغيرة وكبيرة، والمعاملة مع البعض عند الغضب كالعامة والأجانب ينافي العهد الذي قطعناه على يد الله. فالمؤسف أن الكثيرين لم يستوعبوا إلى الآن سرَّ كيفية نشأة القوم. ينبغي أن يكون مبدأنا نحن الجميع أنه لو صدر من فم الكلب اسمٌ عزيزٌ نعدّه أغلى من الدنيا كلِّها وما فيها، فيجب أن لا نمتنع عن تقبيل فم ذلك الكلب أيضا. فالبغض والحقد فيما بينكم لمؤسف جدًا.

لقد استأذن السيتهــ عبد الرحمن المدراسي حضرتَه في الانطلاق لأمر مهم ضروري في ١٠ كانون الثاني/ يناير، حيث كانت برقية من مدراس أيضا قد وصلت. فقال له حضرته إن الإقامة هنا في هذا الشهر المبارك (رمضان) ضرورية جدا. ثم قال: أنا أستعد لأدعو لكم دعاء تزول به الجبال بإذن الله. ثم قال: في هذه الأيام قلما أجلس مع الإخوة، وأقضي معظم أوقاتي على انفراد، فهو مفيد بحق الأحبة؛ إذ أشتغل في الدعاء بتفرّغ إذ تسنح لي الفرص الكبيرة للدعاء على انفراد. وأكبر جزء من الليل أيضا أقضيه في الدعاء.

ويندم على تصرفه. عندما يلقي الوعظ والنصح في الخطاب يحسب كل إنسان كأن حضرته يذكر عيوبه هو فقط، وبذلك يتحقق الإصلاح والتزكية بشكل رائع بانتظام، ولا يتعرض أحد لابتلاء ولا تنجرح مشاعر أحد ليتجاسر على الذنب أكثر. في هذه السيرة درس رائع للذين حين يطلعون على عيبٍ ونقص بسيط عند أحد يندفعون بهمجية بحجة الإصلاح حتى يخجل منها السبع. وينشرون الفساد بدلا من الإصلاح، إن إصلاحهم هذا لا يجلب الثواب بقدر ما يؤدي إلى القتال والجدال والمعاناة. من المؤسف أني وجدت معظم المشايخ سليطي اللسان حادّي الطبع أثناء نشر الدعوة خاصة في غير المقلدين. فلو كانت شوارب أحد طويلة نوعا ما أو كان سرواله أسفل الكعبين قليلا، وجاء إلى مسجدهم فاعلموا أنه اقتحم مكانا محاطا بالأخطار. فالآن الله وحده يمكن أن يعيده سالما من هناك .من المؤسف أن هؤلاء عند بيان سيرة من هو "رحمة للعالمين" يذكرون الحديث أن أحدا تبوَّل في المسجد النبوي و لم يعنفه النبي ﷺ على ذلك مطلقا. لكن لا يُبدون أي عمل به.

أتذكّر جيدا أن الدكتور فضل الدين المحترم –الطبيب الجرّاح المساعد– يوم كان معيَّنا في سيالكوت، اصطحبني ذات مرة إلى جامون في مهمة، وأقام هناك عند المولوي نور الدين المحترم. في تلك الأيام كان عبد الواحد الغزنوي أيضا مقيمًا هناك. وكان الدكتور آنذاك قد لبس سروالا كبيرا، وبُعيد وصولنا إلى هناك –ونحن لا نزال واقفَين و لم نجلس بعدُ– فإذ

بالمولوي الغزنوي يظهر أمامنا، وكان في يده عصا صغيرة، فأسرع إلينا ولمس سروال الدكتور بعصاه وقال بصوت خفيف عابسا وفي لهجته حدة أفغانية: هذا السروال تحت الكعبين حرام. ولما كان الدكتور متحرر الطبع وغافلا تمامًا عن هذه العادات والتقاليد، فقد غضب جدا لدرجة أنه لو لم يكن مراعيا احترام المولوي المحترم للقَّن عبدَ الواحد أسلوب الأمر بالمعروف جيدًا. باختصار؛ إن إمامنا يقلد النبي ﷺ تمامًا في هذا المجال ويقتفي أثره ويتوجه إلى المخطئ بعزيمة دعاء، حتى يوفقه الله ﷻ من خلال الإلقاء في قلبه أو طريقة أخرى للإصلاح. إن حضرته لا يتكلم بكلام ذي معنيين، ولا هو يغمز بإشارة. فلم يحدث قط أنه أزعج أحدًا في المجلس أو قال له مخاطبا: أنا عاتب عليك، أو إن تصرفك الفلاني لم يعجبني، وأن عملك الفلاني مكروه. فكما تلقى الخطاب من الله وهو مسجل في كتابه البراهين الأحمدية "فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ" هو في الحقيقة يتحلى باللين والحلم والإغماض بحيث لا يُتصور أكثر منه، وكل من يريد أن يكون راعيا للناس ويجمع أناسا مفترقين، لا يمكن أن ينجح ما لم يتحلَّ باللين والرفق. ولقد سمعت بعض الأصدقاء المحترمين المكرمين يشتكون أنه لا أحد يستمع إليهم ولا يستجيب لهم، ورغم مننهم الكثيرة لا تميل إليهم القلوب، ويخافهم الناس. فهؤلاء الناس يجب أن يتأسَّوا بأسوة حضرته عليه السلام في الإغماض والعفو وليتركوا دفعة

واحدة الاعتراض في المجلس والكلام ذي المعنيين وإبداء الغضب على أحد. فسيرته عليه السلام زجاجة يمكن أن تُحبس فيها آلاف الجنّيات والحوريات أو هي طلسم مَن وقع فيه مرة لا يسعه الخروج منه أبدًا. فحضرته في غالب الأيام يخرج للنـــزهة ويتكلم في الوقت المناسب في الطريق ويلقي الوعظ بحسب المحل وهو دومًا ينظر إلى الأسفل تجاه حذائه، ولا ينظر يمينا أو شمالا. وقد وهبه الله سبحانه وتعالى القدرة على المشْي عدة أميال. إن حضرته لا يعجبه فراقُ أحبته، وهو يفرح بمجيئهم ويودِّعهم بكُرْه، وهو يحب الذين يزورونه بكثرة. في كانون الأول/ ديسمبر الماضي جاء عدد قليل من الناس، فأبدى عليه السلام أسفًا شديدا على ذلك. وقال: ما زال الناس لا يعرفون ما هو المستوى الذي نريد أن يرتقوا إليه. فالغاية التي نتوخاها والمهمة التي من أجلها قد بعثنا الله سبحانه وتعالى لا تتحقق ما لم يأتِ الناس إلى هنا بكثرة. ولا يملّوا من ذلك أدنى ملل، والذي يظن أن زيارته تثقله أو تثقلنا بإقامته هنا فليحذر. فهو مصاب بنوع من الشرك، إنما نؤمن أنه لو صار العالم كله عيالنا فسوف يتكفلنا الله وهو يسد حاجاتنا، فهو لا يثقل علينا في أي شيء، إنما نفرح كثيرا بزيارة الأحبة. أما ظنُّهم فوسوسة يجب نبْذها من القلوب. لقد سمعتُ البعض يقولون: لماذا نكلِّف حضرتَه بالجلوس هنا عبثا؟ فنحن لا نعمل ولا ننجز شيئا، فلمَ نأكل الطعام عاطلين؟ فليتذكروا إنها وسوسة ألقاها الشيطان في قلوبهم، حتى لا يثبتوا هنا. ذات يوم قال الحكيم

فضل دين المحترم: يا سيدي، أنا أجلس هنا عاطلا، فإذا أمرتَني فيمكن أن أسافر إلى "بهيره"، وهناك سألقي درس القرآن الكريم. هنا أنا أستحيي كثيرا حيث لا أعمل شيئا ولا أسدي أي خدمة، وقد تكمن معصية في الجلوس عاطلا. فقال حضرته: كلا بل إن مجرد جلوسك هنا أيضًا جهاد، وهذا التعطل عمل عظيم. باختصار؛ قد عاتب الممتنعين عن الزيارة بلهجة ملؤها الألم والأسف. ثم قال: إن هؤلاء المعتذرين هم الذين كانوا قد قالوا للنبي ﷺ: ﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ لكن الله كذَّبهم بقوله: ﴿إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾.

أيها الإخوة، أنا أيضا أنزعج جدًّا من الإخوة الذين يتهاونون في الزيارة وأنا أفكر مرارًا من أين آتي بكلمات تؤكد لهم أن في البقاء هنا فوائدَ جمة. فلا يتوفر العلم الصحيح ولا تصح المعتقدات إلا بالإقامة هنا. بينما أرى المفتي[1] المحترم (سلَّمه الله وبارك له وعليه وفيه) أنه حينما تتيسر له الرخصة يندفع إلى هنا فورا. فالمفتي المحترم يترقب الفُرص كالعُقاب، حتى يتصيد الوقت، ويأتي إلى هنا فورا ليتشرف بزيارة حبيبه ومولاه. أيها الأخ العزيز، الجدير بالافتخار؛ بارك الله في همتك وعزمك ومساعيك وجعلك قدوة يحتذي بها أبناء الجماعة. وقال عليه السلام أيضا: "إن نصيبنا من لاهور هو المفتي محمد صادق المحترم فقط." أستغرب هل للمفتي المحترم دخل كبير حتى يأتي إلى هنا بانتظام! أفلا ينفق المال على أقاربه أو ذوي العلاقة به؟ وهو شابٌّ في مقتبل العمر وفي مثل هذه السن تكون لدى الشباب

[1] أي المفتي محمد صادق. (المترجم)

طموحات كثيرة. أفلا تدل سيرته هذه على كمال حبِّه؟ ولأي سبب يكسر جميع القيود والسلاسل فينـــزل في محطة بتاله ثم يندفع إلى قاديان كالمجانين دون أن ينظر إلى الليل والنهار ولا القرّ ولا الحر ولا المطر ولا ظلام الليل حيث يصل إلى قاديان مشْيا على الأقدام في منتصف الليل. يجب أن يتأسى أفراد الجماعة بسيرة هذا العاشق الشاب.

لقد قال عليه السلام: "من الذي أخبر أحبتنا أن العمر طويل، كلا ليس للموت أي موعد. لذا كل وقت تجدونه اعتبروه مغنما، لن تعود هذه الأيام وتبقى قصة، فتداركوا لله أيها الإخوة، وتخلَّوا عن العلاقات المادية. وتذكروا أن هذه العلاقة حصرا سوف تنفعكم للأبد لا غيرُها، بل ستكون العلاقات الأخرى حسرة عليكم، أو تكون الأغلال في رقابكم في صورة الذنوب." إني دوما أستنتج من رغبة حضرته عليه السلام في أن يصاحبه الناس ويعايشوه أنها برهان عظيم على صدق دعواه، وأن روحه تدرك جيدا أنه صادق ومن الله سبحانه وتعالى. فالكاذب يملّ ويسأم من ضيافة إنسان يومًا واحدًا فقط ويخرجه من عنده حتى لا يفتضحه. إن حضرته لا يذكر أي عدو في المجلس. وإذا جرى ذكر أحدهم أثناء الكلام فلا يذكره بسوء. فهذا يدل صراحة على أن قلبه يخلو تماما من أي نوع من النار المحرقة.

وإن المعاملة المؤذية التي تلقَّاها من المشايخ لو شعَر بها كأهل الدنيا فعلا، لظل منـــزعجا متذمرا ليل نهارَ، ولَذكرها مرارا ولاختلت حواسُّه وفسد أمره. فالشاتم والساب كـــ"جعفر زتلي" لم يستطع المشركون العرب أن

يأتوا بمثله أمام النبي ﷺ، لكنني أقول مقسما بالله إن هذه الورقة الخبيثة لا تحدث أي خلل في الأوقات الثمينة لحضرته. فلو نظر أحد إلى ذكر هؤلاء المفسدين في عبارته بحق، لَخطر بباله لعلَّ حضرته يذكر هؤلاء المسيئين ليلَ نهار في مجلسه، لكن حضرته لا يذكر قط إدانة أحد أو تسريحه أو عقوبته بعد أداء المهمة المفوضة إليه على شاكلة الحاكم. ولا هو في الحقيقة يحب أحدًا أو يُبغضه شخصيا. وما يكتبه حضرته في عباراته إنما يكون لوجه الله وإبطالا للباطل وإحقاقا للحق، ولا يكون لنفسه أي دخل فيه. ولقد قال ذات يوم: "إنني أسيطر على نفسي، وقد جعل الله نفسي مسلمة لدرجة أنْ لو أطلق علي أحدهم أشنع الشتائم لمدة سنة كاملة جالسًا أمامي لخجل هو أخيرًا، ولأقرَّ أنه لم يستطع زعزعة أقدامي." إن ثباته وقوة قلبه لا يتأثران -على شاكلة الأنبياء أولي العزم عليهم السلام- بأي ترهيب أو مشهد مخيف فظيع. أيّ حادث مهول وأمر محزن لا يقدر على تشتيت تركيزه وإغفاله عن المهمات المفوضة إليه. فقضية مؤامرة القتل التي رفعها القساوسة ضده وأيدهم بعض المسلمين المزعومين السيئين والآريين كانت تكفي لتفتيت كبد أيٍّ من أهل الدنيا، وجعْله قلِقا ومختلّ الحواس. أما حضرته عليه السلام فلم يتأثر أيٌّ من أعماله مثل التأليف والعِشرة واستقبال الإخوة خارج البيت بوجه طلق ورأفة، ولا في أيٍّ من تصرفاته ولا في سلوكه. لم يكن أحد يدرك بالنظر إلى وجهه المبارك أن قضية قد رُفعت ضده عليه السلام في المحكمة. أيُّ تقرير مخيف يصل إليه من أحد أفراد الجماعة يفيد أن فلانا

يكيد المكايد والمؤامرة ضد حضرته وأن فلانا يرضخ رأسه بجبال شِملة حتى يُلصق بذيل حضرته الشريف بقعةً من دمه النجس، فلا يستمع إليه قط بقلب فزع. فهو دومًا يقول: لا شيء يحدث على الأرض ما لم يحدث في السماء أولا. وأنه لا يحدث شيء دون أمر من الله ﷻ، وأنه لن يُضيع ويُذلّ عبده أبدًا. فهذا ركن شديد يمثل له حصنا حصينا في كل مصيبة. ولقد رافقتُه في شتى المدن في أثناء أوضاع حرجة وظروف قاسية. فمقابل أهل دلهي المتجاسرين غير الشاكرين لاحظت دوما صبره المدهش والحلم والثبات مقابل المساعي الجماعية والمنفردة المسيئة من معارضي بتياله وجالندهر وكبورتهله وأمرتسر ولاهور وسيالكوت. فلم يذكر لي قط على انفراد ولا في المجلس أن فلانا أساء إليه، وأبدى تصرفا غير لائق ضده، فكنت أراه جبلا شاهقا لا تقدر الفئران على حفر نفقٍ فيه. ذات يوم قال حضرته في جالندهر: "في أيام الابتلاء أخشى على بعض ضعاف القلوب من أبناء الجماعة. أما أنا فلو سمعت صوتا صريحا: "إنك مخذول ولن نحقق أي أمل لك "، فأقسم بالله على أن حبي وعشقي وحماسي لخدمة الدين لن ينقص مثقال ذرة، وذلك لأني قد رأيته ... هل تعلم له سميا."

إن حضرته يعتني بالأولاد ويهتم بتربيتهم لدرجة أنْ لو نظر إليه أحد من الناس نظرةً عابرة لظن أن أحدا لا يحب الأولاد أكثر منه، فهو في مرضهم يهتم بهم وينهمك في العلاج والعيادة لدرجةٍ وكأنه ليس له همٌّ آخر، لكن ثاقب النظر يستطيع أن يرى أنه يقوم بكل ذلك ابتغاء مرضاة الله فحسب،

وأنه من أجل الفوز برضوان الله يهتم بخلقه الضعيف. لقد مرضتْ ابنتُه البكر "عصمت" في لدهيانه بالهيضة فانصرف إلى علاجها والاعتناء بها كأنه لن يعيش دونها. ولا يمكن لشخص من أهل الدنيا مشغوف بالأولاد في مصطلح أهل الدنيا أن يبذل الجهود أكثر من ذلك. لكنها حين ماتت لم يذكرها بتاتا، وكأنه لم تكن له ابنة. ولم يذكر قط بعدها أن كانت له ابنة.

يستحيل صدورُ هذه المصالحة والاستسلام لقضاء الله وقدره إلا من أهل الله، فهو عليه السلام يعفو عن الخدام مهما صدرت عنهم من خسارة، ولا يبدي لهم العتاب حتى بإشارة العين. فقد سلَّم لحامد علي بعض الظروف والبطاقات البريدية لإرسالها بالبريد، لكنه انشغل في أمر آخر ونسي المهمة المعهودة إليه. وبعد أسبوع جاء ابنه محمود -الطفل يومذاك- ببعض الظروف والبطاقات مصادفة وقال: يا أبي، قد عثرتُ عليها في القمامة. فحين رآها حضرته وجدها نفسها التي كان قد سلَّمها لحامد علي، وكان يترقب الرد عليها، وكانت مسجلة. عندها نادى حامد علي وأراه الظروف ولم يؤنبه، وإنما قال له بمنتهى اللطف والرفق: "حامد علي، تنسى كثيرا، أَنجز الأعمال باهتمام".

هناك شيء وحيد يؤثِّر فيه ويولِّد فيه الثورة ويُغضبه كثيرا، وهو هتك حرمات الله والإساءة إلى شعائر الله. فقال: إن ضياع عقاري وتمزُّق أولادي كل ممزق أمام عيني أخف علي من مشاهدة الإساءة إلى الدين والاستخفاف به.

فحين صدر الكتاب المؤذي والخبيث "أمهات المؤمنين" الذي لا يحتوي إلا على الكلمات الجارحة والمسيئة، أصيب بصدمة عنيفة حتى قال: "لقد تلاشت راحتنا". فمن نتائج تلك الصدمة والإنابة إلى الله أن الله سبحانه وتعالى زوَّده بحربة لاستئصال الباطل العظيم والشرك الجسيم (أي ألوهية المسيح والكفارة) أي مكَّنه من اكتشاف مرهم عيسى والعثور على قبر المسيح الناصري في كشمير. فالموشك غير بعيد أن يخلق هذا القبر الحِداد في بيوت عبَدة الباطل ويثلج صدور المسلمين، حتى ينسوا هذا الكتاب المؤلم المؤذي النجس.

إن علاقاته عليه السلام بأفراد الأديان الأخرى رائعة بحيث لا يُتصور أكثر منها، فهو يريد نصح الجميع، مهما كان دينهم. فمهمته عليه السلام وغايته المتوخاة طلب الخير لكافة بني آدم، إن هندوس قاديان يجدون في شخصه أمينا ومشيرا نافعا عند المصيبة. فهناك معارضو الإسلام من الهندوس والآريين؛ فهم يعارضون الإسلام ولكن يجدون حضرته مسلما قويا عظيما، ويوقنون من صميم فؤادهم أنه يقطع شأفة الأديان الباطلة. ولو وصف لهم حضرته دواءً فلا تكون ثقتهم به أقل من إيمانهم برسلهم. فحضرته دومًا ينصح جماعته في كتبه وخطاباته ويركز كثيرا على أن لا يهضموا حق أي مخلوق وأن لا يكون أي غش أو خداع وإيذاء في ألسنتهم وأعمالهم. إن علاقته الصادقة بالحاكم (المملكة البريطانية) تتجلى كل يوم من كتبه وإعلاناته. فلم أسمع خلال مدة عشر سنوات قط سواء كان على انفراد أو

كان في المجلس، أي كلمة سيئة صدرت من فم حضرته إشارة أو صراحة ضد الحكومة أو أي مسؤول حكومي. لقد ألَّف الكتب باللغة العربية والفارسية ببذل آلاف الروبيات، ونشَرها في بلاد العرب وأفغانستان وغيرها من البلاد، وأيَّد فيها الحكومة البريطانية بحماس شديد، ورغَّب الشعوب للعيش تحت ظل عطوفة مثل هذه الحكومة.

أيها الإخوة، بما أن هناك أعمالا أخرى كثيرة لذا أكتفي الآن بهذا. فإذا وهبني الله علمًا جديدا ووفَّقني للإمساك بالقلم، ففي المستقبل سأكتب المزيد حول هذا الموضوع. أدعو الله سبحانه وتعالى أن يتقبل كتابتي هذه ويهدي بها الكثيرين. آمين

عبد الكريم

قاديان

١٩٠٠/١/٦

التكملة

كنت عزمت أن أكتب ما أكتبه الآن في رسالة قادمة، لكن حب الإخوة وجبر خاطرهم وعدم الثقة بالحياة دفعني إلى أن لا أؤجله للمستقبل.

أيها الإخوة، يوم أمس كان يوما عجيبا وغريبا في قاديان، فالألطاف والعناية التي يسديها جيراننا إلينا لجديرة سلفا بالشكر والاحترام، إلا أنهم قد اخترعوا بقوتهم السبعية والحماس في الانتقام أسلوبا غير مرتقب، حيث بنوا في ١٩٠٠/١/٨ جدارا في الشارع العام الذي يؤدي إلى مسجدنا، واقتفَوا أثر البطل الذي وضع العراقيل في هذا الطريق. فالآن يضطر الضيوف لقطع مسافة طويلة للوصول إلى المسجد المبارك. كان حضرته يوم أمس مصابا بالصداع وكنا نحن أيضا قد أيقنا بأن الكلام الإلهي الآن سينـــزل إذ قد نشأ الدواعي لنـــزول الكلام الإلهي يستنـــزله . فجاء حضرته إلى المسجد ظهرًا وقال بأنه يعاني من الدوار كثيرا، فلتُجمع الصلاتان. وبعد أداء الصلاتين دخل إلى البيت، فبدأ ينـــزل عليه الوحي إلى المغرب بانتظام. ثم جاء عند المغرب وظل يتكلم عن الإلهام والكلام الإلهي طويلا؛ كيف ينـــزل الوحي وكيف يوقن الملهَم بأنه كلام الله، مع أن الآخرين لا يدركون كنهه. ثم تكلم عن السجع في الإلهامات وقال: من هنا ندرك عظمة القرآن الكريم وكونَ عباراته موزونة ومسجعة وبهذا الأسلوب يتبين حسنُه وميزتُه. وهذه الإلهامات هي: **"الرحى تدور، وينـــزل القضاء. إن**

فضْل الله لآتٍ، وليس لأحد أن يردّ ما أتى. قُلْ إِيْ وربّي إنه لحقٌّ لا يتبدل ولا يخفى. وينـــزل ما تعجَب منه. وحيٌ من رب السماوات العلى. إنّ ربي لا يضلّ ولا ينسى. ظفرٌ مبين. وإنما يؤخّرهم إلى أجل مسمّى. أنت معي وأنا معك. قُل اللهُ ثم ذَرْه في غيِّه يتمطّى. إنه معك وإنه يعلم السرّ وما أخفى. لا إله إلا هو، يعلم كل شيء ويرى. إن الله مع الذين اتقوا والذين هم يحسنون الحسنى. إنا أرسلنا أحمد إلى قومه، فأعرضوا وقالوا كذّابٌ أَشِرٌ. وجعلوا يشهدون عليه ويسيلون إليه كماء منهمر. إنّ حِبّي قريب، إنه قريب مستتر."

بعض هذه الإلهامات نزلت تصديقا وتأييدا للنبوءة التي يترقبها الناس، والمتدبر يمكن أن يتوصل إلى الحقيقة.

الملحق

ذات يوم جرى الحديث حول النفقات، فقال أحد الإخوة المحترمين بأنه يستطيع العيش بكذا من النقود، وقال بعضهم كلٌّ بحسب أحوالهم. فقال حضرته عليه السلام: الله شاهد على أني أجد في نفسي صبرا على الجوع بحيث أستطيع أن آكل وجبتين بإنفاق بيسة واحدة. ثم قال: ذات يوم خطر ببالي أن أجرب لأي مدى يمكن أن يتحمل المرء الجوع، ولاختبار ذلك لم آكل شيئا لستة أشهر، إلا لقيمات بالنادر. وبعد ستة أشهر قدّرت أني يمكن أن أستمر في ذلك لستة أعوام أيضا، وفي هذه الفترة كان يأتيني الطعام من البيت بانتظام مرتين في اليوم، وكنت أريد أن أخفي حالتي. والمعاناة التي كنت أواجهها لإخفاء ذلك قد لا يواجهها الجياع من شدة الجوع، فكنت أوزع الطعام على مسكينين أو ثلاثة، وكنت في تلك الأيام أصلي الصلوات الخمس في المسجد، ولم يستطع أحد من معارفي أن يكتشف من أي علامة بأني لم آكل شيئا لهذه المدة الطويلة. ثم قال: حين يخلق الله أحدا من أجل مهمة ما يهب له كفاءات وقدرات ومتطلبات أيضا لإنجازها. الآخرون الذين لا يملكون تلك القدرات بمقتضى الفطرة، وينشغلون في المجاهدات، يصبحون في نهاية المطاف مجانين ويفقدون الصواب. ثم قال في هذا الخصوص: لقد بين الأطباء أسبابا طبيعية للنوم، لكننا نرى أن الله سبحانه وتعالى حين يريد أن يكلمنا نكون في اليقظة التامة، فيُنـــزِل فجأة النعاس دفعة واحدة،

ويخرجنا من هذا العالم المادي تماما، لكي يتحقق الانسجام مع ذلك العالم. ثم حين ينتهي من الكلام مرةً ينبّه الحواس ويزيل النعاس، لكي يحفظه الملهم. ثم يُنـــزِل عليه النعاس ثم يزيله عنه، وأحيانا يحدث ذلك خمسين مرة، فهو تصرف إلهي ولا تكون له أي علاقة بالنوم الطبعي، وإدراك ذلك ليس في وسع الأطباء.

إنه عليه السلام لا يردّ السائل قط بل يعطيه ما تيسر عنده. فذات يوم قام حضرته بعد صلاة العصر كالمعتاد ووضع قدمه في شباك المسجد للانتقال إلى البيت، وإذ قال سائل بصوت خفيف: أنا سائل. فاختلط صوته بالأصوات الأخرى، إذ بدأ الناس يتبادلون الحديث بعد انتهاء الصلاة، كما كان عند حضرته شغلٌ مهم. فلم ينتبه إليه، ودخل البيت، لكن السائل أعاد السؤال، فتناهى إلى سمعه وأثّر في قلبه كثيرا، فعاد سريعا، ونادى "خليفة نور الدين" طالبًا منه أن يتحرى عن السائل، الذي كان قد انصرف بعد إعادة السؤال. فبحث عنه خليفة المحترم ولم يعثر عليه. فلما جلس حضرته كالمعتاد بعد صلاة المغرب جاء السائل نفسه، وطرح السؤال، فأخرج حضرته من جيبه شيئا ووضعه في يده فورا. فبدا حضرته فرحًا مسرورا كأن حملا ثقيلا قد انزاح عن صدره، ثم ذكر بعد بضعة أيام في مناسبة معينة: "ذلك اليوم حين لم يتم العثور على السائل، كنت أشعر باضطراب شديد في نفسي، وكنت قلقا مضطرب البال؛ إذ كنت أخاف وكأن معصية صدرت مني إذ لم ألتفت إلى السائل، بل أسرعت إلى البيت،

فأشكر الله سبحانه وتعالى الذي أعاده مساء، وإلا فالله أعلم إلامَ كنت سأبقى في القلق، وكنت دعوت الله سبحانه وتعالى أيضا أن يعيده".

أيها الإخوة، بما أن هناك أعمالا أخرى كثيرة، لذا أكتفي بهذا القدر، فإذا وهبني الله علما جديدا ووفَّقني لإمساك القلم مرة أخرى، فسأكتب مزيدا حول هذا الموضوع، أدعو الله سبحانه وتعالى أن يتقبل كتابي هذا ويهدي به الكثيرين.

عبد الكريم

من قاديان

١٩٠٠/١/٦م

❁❁❁❁❁